شَجوُ الفِراق

من حياة الشاعر حسن بن جابر بن قاسم الظُلمي الفَيْفي

- رحمه الله وغفر له -

تأليف

عيسى بن سليمان الفَيْفي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

قدم له

د. يحيى بن جابر قاسم الفَيْفي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

القارئ الكريم:

بين يديك صورة أُعيدَ جمع أجزائها المتناثرة للحياة القصيرة التي عاشها أخي الفقيد حسن بن جابر الظلمي الفيفي – رحمه الله وغفر له وأكرم نُزله–.

كان أخي حسنَ الصحبة كما هو اسمه، سمح الروح، غني النفس، يحب المزاح، يهوى الأدب، ويتخذ من الشعر قنطرة إلى قلوب من حوله، فتارة يتحدث عنهم بموزون الكلام، وأخرى يحدثهم به عن نفسه.

كنت أنا (يحيى الظلمي) أخاه الأصغر ليس فقط في العمر وإنما الأصغر في كل شيء حسن لديه. وفجأة، دون إرادة أو حتى أدنى توقع، أصبحت أنا الأخ الأكبر عمرًا في العائلة بعد أن قضى الله أن يذهب حسن إلى جواره الحسن، ويبقى يحيى ليحيا محزونًا عليه ما شاء الله.

اليوم مضت قرابة عشرين سنة، ولكني أكتب هذا وفي حلقي غصة، لا تفارقني صورة أخي إذ يحتضر أمامي، ولا صورة أبي إذ يغمى عليه بجانب جثمانه، ولا صورة أمي إذ تتلقى الخبر باكية عليه داعية له.

عقب وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأيام كتبت شيئًا لا أعرف هل أسميه رثاءً لأخي أو هجاءً للحياة أو دعاءً لله، لكنه كان ببساطة يصبّ سوطَ عذاب لطفل في سن المراهقة

أرهقته فاجعة أثقل بكثير مما يتحمله، تجده -أخي القارئ- في صفحات لاحقة من هذا العمل. أما أولئك الذين رُزئوا بفقد صديقهم أو قريبهم فلا أعلم هل حل بهم مثيل ما حل بي حينها، إلا أني أعلم يقينًا أنه قد مسّهم من الحزن عليه شيء مما مسّني.

ذهب كثير منهم إلى الحديث مع خياله من جنس الفن الذي كان يحبه ويربطهم به، وهو الشعر، فوُجد منه ما وُجد وفُقد منه ما فُقد. ليس مهمًا ماذا نسمي كل ما هنا إن كان شعرًا أو نثرًا أو شعرًا منثورًا أو حتى نظمًا مكسورًا إلا أنها مشاعر منثورة تنبئك عن بيئة بسيطة وقلوب بريئة. تنبئك عن نهضة أدبية صغيرة في إطار محدود جدًا وكأنك تعيش في عصر من عصور الأدب المزدهرة، غير أن هذه إنما كتبت بأقلام نشء في العقد الثاني من العمر تستطيع أن تلمحَ في مكتوبه ما ينبئك عن تعليم مكثف للغة والأدب في حينها.

فما نقرأ هنا مما صنفه المؤلف شعرًا هو نتاج طلاب في مرحلتي المتوسطة والثانوية بمعهد فيفاء قبل قرابة عشرين عامًا ومنهم الفقيد الذي خصّه المؤلف بهذا العمل، وما نقرأ هنا مما صنفه المؤلف نثراً هو حديث أساتذة الفقيد وزملائه وأصدقائه وأقربائه بعد قرابة عشرين عامًا من الحدث ومنهم أنا كاتب هذا التقديم.

أخي القارئ:

هؤلاء المحسنون من أصدقاء أخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأقربائه كانت رسالتهم ببساطة: لقد فقدناك وأحزننا منآك، وندعو لك بالرحمة والغفران، لا ضير ما القالب الذي حوى رسالتهم. فإن مررت من هنا فكن كريمًا بدعوة منك له وكن كريمًا بتجاوزك عنا جميعًا.

بقي أن أشكر أخي المؤلف الأستاذ عيسى بن سليمان الفيفي على هذا اللطف والتكرم منه وأسأل الله له ولوالديه من واسع فضله وعظيم كرمه، وأدعوك للدعاء له.

د. يحيى بن جابر الظلمي الفيفي

١٥ رمضان ١٤٤٠ هـ

@Aldholmi

❊❊❊

شكر وعرفان . . .

في الحديث الصحيح بسندٍ صحيح، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ الله)[١].

أولاً: أشكر الله تعالى جلت قدرته أن يسر لي وألهمني وأعانني على هذا العمل الذي أرجوا به ثوابه، ثم حفظ جوانب من حياة الفقيد رَحِمَهُ اللَّهُ ومنها هذا التراث الشعري الجميل.

ثانيًا: أشكر الدكتور يحيى بن جابر قاسم الظُلْمي الفَيْفي (شقيق المرحوم) أن أذن لي بهذا العمل الجبار، وقام بمتابعته والتقديم له، رغم أشغاله وانشغاله بالضغوطات الدراسية في بلد ابتعاثه، الولايات الأمريكية المتحدة.

ثالثًا: أشكر الأستاذ أحمد بن يحيى فرحان الخُسَافي الفَيْفي (الصديق المقرب للمرحوم) على ما زودني به من بعض القصائد، فله جزيل الشكر والعرفان.

رابعًا: أشكر كل من أتحفني بمعلومة عن المرحوم ولو قليلة.

خامسًا: أشكر زملاءَه ومعلميه الذين لم يتوانوا في الكتابة وفاءً منهم له، رَحِمَهُ اللَّهُ وغفر له وجعله من ورثة جنة النعيم .

❊❊❊

(١) رواه الترمذي (١٩٥٤) وأبو داود (٤٨١١) وغيرهما. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤١٦).

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الروح الكريمة والنفس الأبية التي من أجل تراثها جاء هذا الكتاب . . رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أهدي هذا العمل المتواضع إلى سعادة الدكتور الشاعر يحيى بن جابر قاسم الظُلمي الفَيْفي (شقيقه) . . حفظه الله

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والديه وأسرته الكريمة وأقربائه . . حفظهم الله

أهدي هذا العمل المتواضع إلى زملائه وأصدقائه أو محبيه وكل من له به علاقة أو معرفة أو صداقة . .

الكاتب

@eisa850

❊❊❊

انطلاقة . .

الشاعر والأديب حسن بن جابر بن قاسم الظُلمي الفَيْفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ المكنى «أبا بدر» كان شاعراً جميلاً، مفوهـًا فصيحـًا، يُطوعُ الصور الأدبية في شعره الفصيح، يختار من المفردات أكثرها رصانة، ومن المعاني أعلاها فصاحة، ومن الجمل والتراكيب أغناها شاعرية وأملأها جزالة.

وكان له عددٌ من الزملاء أيام دراسته ممن يكتب الشعر على مستوياته المتعددة، فكان يباريهم وكان يمازحهم بالشعر ويمنحهم قصائده. توفي في عمر مبكر إبّان كان في المرحلة الثانوية -رحمة الله عليه-. كتب عدداً من القصائد الفصيحة في أغراض متعددة ومناسبات متنوعة، ولسوء الحظ، فُقِدَ الكثير منها.

كان شاعراً واعداً بحق - رحمه الله وغفر له - .

❊❊❊

نبذة عن الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ

۞ ميلاده :

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السابع عشر من شهر شوال لعام ١٤٠٠ هـ، في بيت «خطوة آل خاشرة» الواقع في بقعة الحشاة أسفل جبل الظلمي بفيفاء.

كان حسن الابن الأول والأكبر لوالديه جابر بن قاسم الظلمي الفيفي وجميلة بنت يحيى الخسافي الفيفي.

انتقل مع أسرته إلى منزل آخر يدعى «بيت آل هليلة» ببقعة الحشاة المنصوص عليها هنا وما زال طفلاً لم يتجاوز عمر الثالثة.

۞ نشأته :

نشأ في بيئة بسيطة هادئة، وكانت له هوايات عدة من أهمها الرماية والصيد. عرف عنه مهارته العالية في إصابة الأهداف بالسلاح الناري إذ كان راميًا محترفًا. كان يتنافس ويبزّ أقرانه في هذا المجال في مناسبات كثيرة في فيفاء وخارجها.

كان أيضًا محبًا لهواية الصيد، والتي تساعده على ممارستها البيئة التي كان يعيش فيها.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يذهب في رحلات صيد مع أصدقائه وأقاربه في القرى المجاورة على حدود فيفاء من الجهة الجنوبية.

بالإضافة إلى هاتين، فإن الشاعر حسن - غفر الله له- كان مولعًا بالعادات والتقاليد الفيفية والأهازيج الشعبية والشعر باللهجة الفيفية والعامية.

فكان يتحاور مع كبار الشعراء في فيفاء وخارجها رغم صغر سنه حينها، وكان صديقاً لشعراء كالشاعر جابر حسين الظلمي الفيفي، والذي كنيته «أبو بكر» في الوسط الشعري العامي.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ صديقاً للكل من قريب وبعيد، ولكن أحد أشهر أصدقائه هو الأستاذ أحمد بن يحيى الخسافي الفيفي، معلم اللغة العربية حالياً في إحدى مدارس فيفاء (الفَرَحة).

ورغم علاقته الودية مع من حوله إلا أنه كان معروفاً بشجاعته وإقدامه في أمور شتى، وعرف عنه صراحته في كثير من المواقف وعدم المحاباة؛ ولذا، كان يحظى بتقدير الناس من حوله وثقتهم فيه.

۞ نشأته التعليمية :

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ دراسة المرحلة الابتدائية في مدرسة ذراع منفة الابتدائية عام ١٤٠٧ هـ، وتخرج منها بامتياز، ثم انتقل إلى المعهد العلمي في فيفاء. هناك نما حبّه للغة الإنجليزية واهتمامه بها.

كان الأستاذ الكريم سيّد السيّد من جمهورية مصر العربية يشجعه ويدعمه ويرى فيه أستاذاً للغة الإنجليزية في المستقبل.

تسارع اهتمامه باللغة، فبدأ يقتني المعاجم اللغوية، والكتب التعليمية، ووسائط المعرفة كالكاسيتات والأشرطة والأفلام الإنجليزية.

عندما انتقل من المرحلة المتوسطة إلى المرحلة الثانوية افتقد دعم أستاذه الكريم، ولكن أستاذ اللغة الإنجليزية في تحفيظ فيفاء، الأستاذ علي بن يحيى

الظلمي الفيفي، والذي يشترك مع المرحوم في شجرة عائلة «آل امشباب» كان الداعم الجديد للشاب الطموح حينها.

كان الأستاذ علي الفيفي سخيـًا في دعمه للفقيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ اعتاد على أن يسدي إليه من مراجعه اللغوية الإنجليزية كل ما يساعده على تعلمها. وكانا يقضيان الساعات الطويلة في قراءة محتويات عدة وكتابة مقطوعات مختلفة بالإنجليزية.

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصف الثالث الثانوي، يعدّ الأيام بين يومه ويوم تخرجه؛ ليبدأ درجة البكالوريوس في الجامعة في تخصصه الذي اكتشفه مبكراً، إلا أن ما كتبه الله في اللوح المحفوظ حال بينه وبين حلمه.

۞ وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جرّاء حادث مروري في فيفاء في صبيحة الثلاثاء السادس من محرم لعام ١٤٢١هـ، وعمت بحادثة وفاته طائفة حزن لم تُعفِ قلوب من لا يعرفونه فضلاً عمن كانوا يعرفونه، وهو يومها لم يتجاوز العشرين من عمره.

❊❊❊

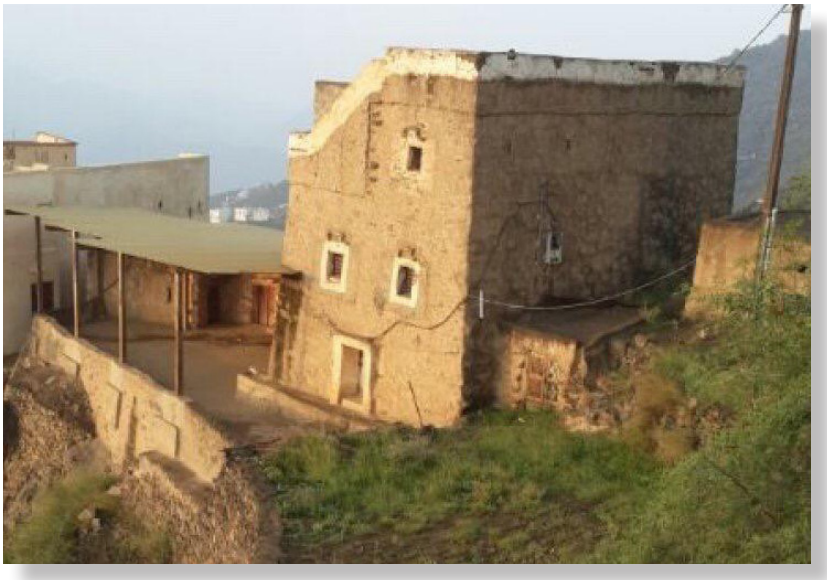

(صورة للمبنى القديم لمدرسة ذراع منفة الابتدائية الذي درس فيه المرحوم

قبل انتقال المدرسة لمقرها الجديد)

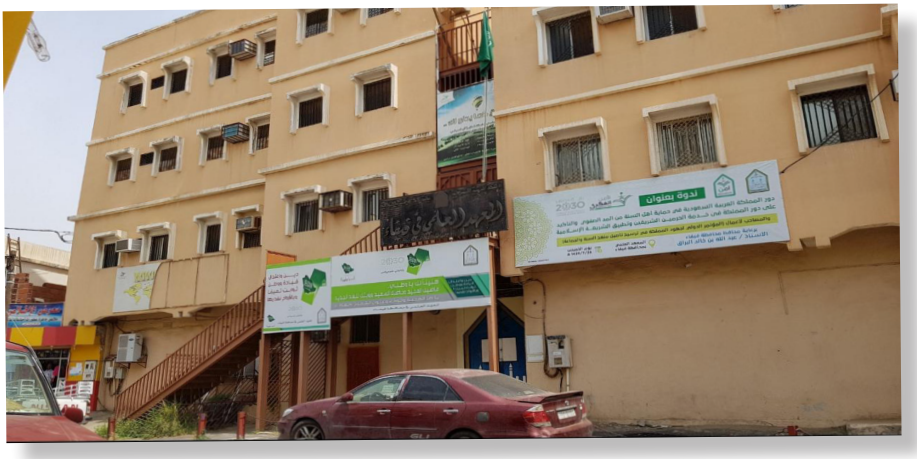

(صورة لمبنى المعهد العلمي في فيفاء)

أساتذته الذين تتلمذ على أيديهم

١. الأستاذ «عوض» فلسطيني الجنسية درسه في الصف الأول والثاني والثالث.

٢. الأستاذ «إبراهيم النجار» فلسطيني الجنسية درسه في الصف الرابع الخامس والسادس.

٣. الأستاذ «حسن بن فرح جبران الفيفي» درسه مادة الرياضيات.

٤. الأستاذ «يحيى بن محمد الفيفي» مادتي التربية الإسلامية والاجتماعيات.

٥. الأستاذ «محمد بن حسين محمد الظلمي الفيفي» كان مدير مدرسة ذراع منفة حينها، ودرسه بعض المواد مثل مادة التربية الفنية.

المرحلتان المتوسطة والثانوية (المعهد العلمي في فيفاء):

١. الأستاذ أحمد بن سليمان جابر الفيفي

٢. الأستاذ أحمد بن محمد أحمد الفيفي

٣. الأستاذ أحمد بن محمد مسيري (مصري)

٤. الأستاذ جابر بن سلمان قاسم الفيفي

٥. الأستاذ حسين بن يحيى مفرح الفيفي

٦. الأستاذ حمدي عطا (مصري)

٧. الأستاذ روبي أحمد (مصري)

٨. الأستاذ زكي الجندي (مصري)

٩. الأستاذ سلمان بن سليمان الفيفي

١٠. الأستاذ سليمان بن علي قاسم الفيفي

١١. الأستاذ سيّد السيّد (مصري)

١٢. الأستاذ عبدالله بن سليمان علي الفيفي

١٣. الأستاذ عبدالله بن يحيى حسين الفيفي

١٤. الأستاذ محمد يحيى سليمان الفيفي

١٥. الأستاذ هادي محمد صديق حكيمي

١٦. الأستاذ يحيى بن حسن يحيى الفيفي

زملاؤه في مراحلتي المتوسطة والثانوية:

١. حسن محمد جبران الحكمي الفيفي

٢. حسن محمد حسين الظلمي الفيفي

٣. حسن يحيى حسين الظلمي الفيفي

٤. سلمان جبران يحيى الشراحيلي الفيفي

٥. سليم حسن أحمد العمري الفيفي (رَحِمَهُ ٱللَّهُ)

٦. سليمان حسين حسن الظلمي الفيفي

٧. عبدالله حسن أحمد المشنوي الفيفي

٨. عبدالله سلمان قاسم السلماني الفيفي

٩. عبدالله سليمان يحيى العمري الفيفي

١٠. عبدالله شريف مفرح المدري الفيفي

١١. عبدالله محمد سليمان المشنوي الفيفي

١٢. عبد الله مسعود حسن العبدلي الفيفي

١٣. عبدالله موسى محمد العمري الفيفي

١٤. عبدالله يحيى جابر السلماني الفيفي

١٥. عيسى حسن أحمد العمري الفيفي

١٦. عيسى حسن أحمد المشنوي الفيفي

١٧. عيسى محمد سليمان المشنوي الفيفي

١٨. محمد أحمد حسين الظلمي الفيفي

١٩. محمد حسن شريف المشنوي الفيفي

٢٠. مسعود يحيى سالم الحكمي الفيفي

٢١. مصلح أسعد جبران الدفري الفيفي

٢٢. مفرح حسين سلمان الظلمي الفيفي

٢٣. موسى سليمان جبران المثيبي الفيفي

٢٤. موسى محمد يزيد العبدلي الفيفي

٢٥. هادي حسين جبران الدفري الفيفي

٢٦. يحيى مسعود جابر الحكمي الفيفي

٢٧. يزيد يحيى سلمان الظلمي الفيفي

❊❊❊

ما يقوله اليوم عنه أقرباؤه وأصدقاؤه

(المؤلف):[١]

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ شاعراً فصيحاً، متحدثاً مفوهاً، كان مرحاً مع الكل، متواضعاً بسيطاً في كلامه وتعامله، كان ذا أخلاقٍ عالية، حريصاً على القراءة والتعلم، دائماً تعلو محياهُ ابتسامة، مهتماً بأمور زملائه يسألُ عن الغائبِ ويرحبُ بالحاضر، له مكانة كبيرة بين زملائه ومحبيه، أحزنني فراقه ورحيله، أجدُ السعادة والأنس في قراءة قصائده حتى حفظتها، لأنها تذكرني بشخصية تتميز بالنباهة والبلاغة وهو في هذا العمر الصغير، فما كان يكتب قصيدة إلاّ وتجدنا نتسابق لامتلاك نسخةٍ منها، محبةً له ولشعره الجميل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الأستاذ: أحمد بن يحيى بن فرحان الفيفي:[٢]

إن كتبتُ عن هذه الشخصية فلن أوفيه حقه، فاعذرني لأن قربه إلى قلبي وذكراه تجعلني أذرف الدموع، كلما ذكرته في خاطري فأتوقف عن الكتابة دون إرادة.

---

(١) عيسى بن سليمان جابر العُمَري الفَيْفي، من مواليد فيفاء عام ١٤٠٣هـ، حصل على البكالوريوس من جامعة أم القرى، باحث وكاتب ومؤلف، له مجموعة مؤلفات، حالياً معلم بتعليم عسير ـ مكتب أحد رفيدة ـ (مدرسة الفرعين المتوسطة).

(٢) الصديق العزيز والخلُّ المقرّب للشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جمع بعض قصائد المرحوم، وتراثه الشعري، من مواليد فيفاء عام ١٣٩٨هـ، متخرج من جامعة الإمام بالرياض عام ١٤٢٠هـ، حالياً معلم اللغة العربية بمكتب التعليم بمحافظة فيفاء (مدرسة الفَرَحَة الابتدائية) يعتبر من سفراء جازان في التميز وحصل على عدة أوسمة وجوائز.

الأستاذ: مصلح بن أسعد بن جبران الفيفي: (١)

حين يكون الرحيل .. يذهب كل شيء يتعلق بالإنسان وتبقى سيرته والأثر الذي تركه في قلوب الناس، وعندما نكتب عن صاحب قلب اتسع للجميع وامتلك من الأخلاق وطيبة القلب منظومة قيم متكاملة، يقف القلم عاجزاً عن سرد مشاعر لا يمكن أن تكتب في مجلدات . . رحمك الله يا نقي القلب يا بشوش الوجه يا حسن الأخلاق.

الأستاذ: عيسى بن يحيى بن حسين الفيفي: (٢)

رَحِمَهُ ٱللَّهُ .. كان (حسن) ـا في الاسم .. حسنا في الخلق .. كانت ابتسامته لا تفارقه .. شابٌ محبوب من الجميع .. يأسر قلب من يقابله من أول لقاء .. عم الجميع الحزن في يوم وفاته .. رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة .. وجمعنا به في صحبة نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنان .

الأستاذ: حسين بن أحمد بن حسن الفيفي: (٣)

لم تكن لي به معرفة شخصية لكنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ذائع الصيت في جيله بتميزه

---

(١) من زملاء وأصدقاء المرحوم المقربين، حصل على البكالوريوس من كلية المعلمين بجازان تخصص لغة عربية، حصل على الماجستير في الارشاد من جامعة الملك خالد بأبها، حالياً معلم بتعليم عسير، مكتب خميس مشيط (مدرسة جابر بن سمرة الابتدائية).

(٢) حصل على شهادة البكالوريوس من كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، حالياً معلم بتعليم منطقة الرياض (مدرسة حمزة بن عمرو المتوسطة).

(٣) حصل على البكالوريوس تخصص أحياء من جامعة الطائف، مؤلف ومخرج مسرحي وروائي، عضو الهيئة الدولية للمسرح، عضو مؤسس لفرقة الرياض المسرحية، حالياً معلم بتعليم الرياض.

العلمي حينما كان طالبًا في المعهد العلمي بفيفاء، ومن الجانب الأدبي فهو الشاعر الفصيح البليغ الذي لو عاش طويلًا لكانت له بصمة شعرية خاصة لا يجاريه فيها أحد.

أما علاقاته الإنسانية فكانت له صداقات عدة عرفناها حينما غادر الدنيا في عزِّ شبابه، فقده الأصحاب وزملاء دراسته ومكانه وكرسيه في فصله.

كانت أيامًا لبسها الحزن واستمر لسنوات حينما أشرقت شمس ذلك اليوم وخبر حادث وفاته يتناقله الناس، ولازال ذلك الإنسان الفقيد يعيش في ذاكرة جيل زمنه ولم يُنسَ وقد مرت على وفاته ما يقارب العشرون سنة.

۞ الأستاذ: حسين بن يحيى بن حسين الفيفي:[١]

بالرغم من مرور قرابة العقدين من وفاة حسن بن جابر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وبالرغم من قصر حياته – غفر الله له – إلا أن الدروس والعبر لا زالت حاضرة وكثيرًا ما أذكر بها طلابي ونفسي قبل ذلك وأهمها من وجهة نظري:

۞ من حياته

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ نموذجًا رائعًا يحتذى به في العزيمة والإصرار، فقد كان يبحث عن الحلول قبل الأعذار ويصنع الفرص ولا ينتظرها، ففي سن مبكرة جداً تعلم اللغة الإنجليزية ما أزال أذكر كتابته لنا ونحن زملاء في الابتدائية لبعض الأحرف الإنجليزية بالطباشير، ونحن بين مصدق ومكذب أنها كما يقول ولكنه

(١) من زملاء المرحوم، شاعر فصيح، حاصل على شهادة البكالوريوس من كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، حالياً معلم بتعليم منطقة الرياض (مدرسة الأبواء الثانوية).

قطع الشك باليقين فلم نصل إلى الصف الثاني متوسط إلا وهو يتكلم مع معلم الإنجليزي بطلاقة، لا الزمان ولا القدوة في الأسرة ولا التكنولوجيا الموجودة اليوم ولا الظروف كانت مهيأة له، ولكن لم يعقه ذلك من الوصول لهدفه، بجهد فردي وتصميم وإرادة جبارة.

كذلك لما كان في بدايات الصف السادس على ما أظن تعرض لحادثة قطعت على إثرها إبهام يمينه .. ولكن هذه الحادثة لم تكن عائقاً أمامه للكتابة بل صنعت له تحدياً جديداً وموهبة فريدة .. فقد عكف على تعلم الخط بمجهود ذاتي بحت وفي أقل من العام نافس الخطاطين وكان المرجع لنا في كتابة الوسائل الصفية .. الإرادة الصلبة لا تعترف بالظروف ولا الأعذار بل تشق لها طريقاً خاصاً بها للوصول للقمة .. وهذا ما كان عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كل مواهبه وإبداعاته من شعر عامي وفصيح وخط وإتقان للغة العربية والانجليزية ورماية .. هذا وهو لم يعش في هذا الزمن الذي أصبح بينك وبين صقل موهبة أو معرفة معلومة مسافة (ضغطة زر الإدخال في الجوال أو ما شابهه).

من موته

في موته رَحِمَهُ ٱللَّهُ عبرة وعظة .. فبينما كنا في الثالث الثانوي نتخبط في التخطيط لأحلامنا مترددين أي التخصصات قد تكون لنا أفضل وأي الطرق نسلك للوصول لما نتأمله من المستقبل .. كنا نغبطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ .. فمن وجهة نظرنا أن المستقبل قد عقد معه صفقة نجاح مبكرة فإن اتجه إلى الجامعات أو الشركات فلغته خير واسطة وسفير له وإن اتجه للمجال الخاص فخطه الجميل وشعره خير طريق كسب له .. ولكن الأجل سبق لخطفه مما كنا نخطط له رَحِمَهُ ٱللَّهُ .. مات من

ظننا أن مستقبله ورد وزهور وعاش من ظننا مستقبله تخبط وضياع، فالمستقبل الحقيقي هو ما تعيشه اليوم. – وهذا ما يجب علينا أن نكون عليه.– نعمل لدنيانا كأننا نعيش أبداً ونعيش للآخرة كأن الموت على موعد معنا غداً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وغفر له وجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

❊❊❊

أحد زملائه وأقربائه[١]

حسن بن جابر بن قاسم الظلمي الفيفي: وكانت كنيته التي تكنى بها وناداه بها أصحابه منذ صغره وشبابه «أبو بدر».

عاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ قرابة أو أقل من عشرين سنة لكنها كانت تعادل خمسين سنة أو أكثر، لما جرى فيها من أحداث تملأ هذا العمر الصغير، وتجعله قصة كبيرة لشابٍ يحمل الطموح والأمل، فلقد اتصف بالكثير من الصفات الجميلة والخصال النادرة التي يفوق بها غيره ممن هم في مثل عمره.

فكان من أجمل صفاته الصدق، لدرجة أنه يبغض الكذب وأهله، وقد بلغ من صدقه أنه يقوله حتى وإن كان على نفسه، لذلك كان أصدقاؤه وزملاؤه لا يستوثقون من الكلمة إن هو قالها لأنهم يعرفون أن كونه ينطق بها دليل على أنها كلمة صادقة.

وقد اجتمع مع الصدق شجاعة تمكنه من قوله، فلم يكن يتأخر في أي مجلس يسمع فيه كلاماً يخالف الصدق إلا وقام مدافعاً عن الصدق وموضحاً له ومفنّداً ما قيل في ذلك المجلس حتى يجليه كالشمس.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا ثقةٍ في نفسه فلم يكن يستصغر نفسه في أي موقف، بل كان يثبت حضوره ووجوده حتى في مجالس كبار السن وله كلمته المسموعة ولذلك قلت سابقاً إنه عاش عمراً كبيراً حتى وإن كانت سنواته قليلة.

---

(١) شاعر فصيح، طلب عدم ذكر اسمه، ولا أي إشارة له، وهو أحد أبناء فيفاء الذّائعي الصيت، وحاصل على درجة علمية من إحدى جامعات الرياض.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثابراً حتى في هواياته، إن أراد شيئًا أعطاه كل اهتمامه حتى يصل لمنتهاه ويتفوق فيه، فحينما عشق الخط العربي ثابر في تعلمه، لدرجة أنه كان يبحث في المكتبات عن أفضل أقلام الخط جودة، بل ربما أحيانًا أجرى بعض التعديلات على بعض الأقلام وقام بتحسين ريشتها ليبدو الخط معها أجمل وأجمل، وكان يقتني كتبًا مفيدة في فنون الخط العربي ويسارع لشرائها والبحث عنها حتى يحصل عليها ويتعلم ما فيها باهتمام، حتى أتقن عدة خطوط كالرقعة والنسخ والكوفي والديواني، وخط بيده رَحِمَهُ ٱللَّهُ بدائع منها وكان يزين بها بعض مقتنياته من الكتب بكتابة اسمه عليها، ويزين بها صفحات الدفاتر، وربما أهدى بعض الصفحات المخطوطة أو اللوحات لأصحابه وزملائه.

كما ثابر في تعلم اللغة الإنجليزية بل كان يحب تعلمها حبًا نابعًا من قلبه، فكان لا يعتبر المنهج الذي يدرسه في مراحل دراسته كافيًا ولا حتى مغطيًا لجزء بسيط من طموحه، بل كان يقتني كتب اللغة الإنجليزية ويستمع للدروس الصوتية التي يقتنيها، إلى أن وصل إلى مستوى متقدم حتى صار يستمع لإذاعات الراديو باللغة الإنجليزية ويفهم حديثها بسهولة، وكان إذا وجد من وقته دقائق قام بفتح قاموس المورد الكبير في اللغة الإنجليزية وتعلم كلمة جديدة وأتقن تصريفاتها، كل ذلك وهو يستمتع بهذه الهواية والحب لهذه اللغة، كما أنه كان يحرص على أن يتعلم التحدث بها بطلاقة فكان يزور المتقنين لهذه اللغة وأساتذتها ليتعلم منهم ويستفيد، بل وصل اهتمامه إلى تعرفه على طبيب من إحدى الجنسيات الأجنبية كان متقنًا للغة الإنجليزية وكان يستضيفه في بيته ويتدرب على التحدث معه ليكتسب المهارة الكاملة في هذه اللغة، وكان يريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يتخصص في

دراسته الجامعية هذا التخصص اللغوي لكن الأجل وافاه في السنة الأخيرة من الثانوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر الله.

وقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ نشيطًا قوي البنية يحب المنافسات الرياضية مثل كرة القدم وسباق العدو السريع وغيرها، وقد أتقن الرماية لدرجة أنه كان الرامي الأول في «الحشاة» وهي البلدة التي كان يسكنها في سهول قبيلة آل ظلمة، كعادة القبائل في ذلك الوقت تعتني بتعليم الشباب الرماية، وفي مناسباتها يوضع هدف يتسابق الضيوف في رمايته طلبًا لإصابته، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحقق أهدافه في الرماية بنجاح فائق بل لا يتعداه أحد في هذه المهارة أبداً.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبذل المساعدة لكل الناس، بل يتفانى في مساعدتهم، ويخلص في العون والمساعدة لدرجة أنه يبذل كأن الأمر له هو وليس لغيره، وكثيراً ما كان الغير ربما وصل إلى مرحلة اليأس من تحقيق مطلوبهِ لكن حسن بن جابر يشجعه بأنه يمكن تحقيق الأمر ويبذل معه غاية ما يستطيع، وخصوصًا وقد كان مثابراً يتمتع بصفاء الذهن وقوة البنية فلا ييأس بسهولة حتى يحقق ما أراد له أو لغيره.

لقد كان منذ صغر سنه كبيراً في شخصيته واهتماماته، فما كان يحب اللعب بالألعاب البسيطة التي يلعب بها من هو في سنه، بل كانت همته أعلى وأعلى، فإما أن يشغل وقته بشيء مفيد، وإما أن يمارس هواية تبدو لأعلى منه سنًا لكنه بطموحه يرتقي إليها.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحب النزهة ويتفانى في تحمل أعبائها، وكم من النزهات الجميلة التي شارك فيها، بعضها للأودية مثل وادي ضمد ونحوه، وكان خدومًا لأصحابه فيها باذلاً جهده لا يعتمد على غيره دون عمل وجد وتعاون.

وكان شاعراً رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نوعي الشعر الفصيح والشعبي، يكتب القصائد ويشارك في المناسبات التي فيها محاورات شعرية، وربما كان هو صاحب القصيدة الأهم في بعض المناسبات وهي التي يتغنى بها الضيوف بعد الغداء أو العشاء وتسمى في أعراف فيفاء (التكثيرة) ويبدع في ذلك، وكان يبدي رأيه النقدي حيال ما يكتب ويقال من الشعر، وله ذائقة جميلة في اختياراته للقصائد التي يقرأها ويحفظها ويترنم بها. . رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة غفر له.

۞ الشاعر جابر بن حسين بن سليمان الفيفي (أبو بكر):

هو من الشباب المتميزين مع الجميع وكان شاعراً فطناً جداً وله احترام عند كل من يعرفه، وكان يحب احترام كبير السنّ، فقد تميّز بأخلاقه وتواضعه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له.

۞ النقيب الدكتور بندر بن محمد بن هادي الفيفي:[1]

رحِمكَ اللهُ أخي حسن رحمة الأبرار

كم كنت بالنسبة لي مثلاً ومثالاً، في الكرم، في الخلق، في الحكمة، في الشعر ... (حدث عما شئتَ ولا حرج).

لقد كان (رحمةُ اللهِ تغشاه) أولَ من أوقد جذوةَ الشعر في نفسي ودفعني لكتابته دفعاً وما كنتُ أكتبُ من قبله من بيتٍ أو أخطه بيميني، وما كُنتُ أدري ما

(١) حصل على البكالوريوس من جامعة الملك خالد بأبها، وحصل على الماجستير والدكتوراه من جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية، حالياً برتبة نقيب بالقوات الجوية الملكية بقاعدة الملك فهد بالطائف.

الشعر ولا القصائد ولكن قذفها الله في قلبي وكانت وفاته هي السبب، فلكَ أيها القارئ العجب.

فلقد تعدت أفضاله عليَّ حالة حياته إلى بعد وفاته

وكانـت في حياتـك لـي عظـاتٌ وأنـت اليـوم أوعـظ منـك حيـًا

ولَكَم أذكرُ الأسى والحزنَ العميقين والكآبةَ التي تنزَّلت ذلك اليوم في المعهد العلمي مبنىً ومعنى، وحقًا وصدقًا، حتى إنَّها لم تستثنِ أحداً أبداً، من أعضاء هيئة تدريسٍ أو إداريين أو طلاب.

لقد أصابهم الإعياء، وغشيتهم البلواء، وتنزلت عليهم الضراء، ولا تكاد تسمع إلا هامسًا يتحوقل، فَرَحُهُ قد تبدل، وحزنه عليه قد تنزل.

لم أرتوِ منك بعد، لم تكفنِي بعدُ أيامُ السعد، نعم !!! ولكن أملي أن نلتقي في جنة الخلد.

نهلتُ منه من حيث لا يدري الخلق الرفيع، ولباقة الكلام، وحلو المنطق، وطيب المعشر، لقد كان بمثابة عينٍ صافية أردها وأتردد عليها لأشرب منها فإذا بي أجد عندها أمة من الناس يسقون، ومن أدبه ينهلون، وبعظيم خلقه يقتدون.

لقد كان يميل للجِد وأخذ الأمور بعزيمة، ولا يخلو حاله من ملاطفة وممازحة ودعابة؛ وكأن لسان حاله:

وللجِـد أوقـاتٌ وللهـزل مثلهـا ولكـن أوقاتـي إلـى الجـد أقربُ

رحمك الله رحمة الأبرار، وأنزل على قبرك شئابيب الرحمات، كنت أقول في نفسي أيام كان وكنا، لو يعش هذا فليكونن له شأن، وسمعة تناطح عنان السماء،

وليُشارنَّ إليه بالبنان، ويعرفه القاصي قبل الدان (ذاك يوم أن كان وكنا، ولكنه بانَ وبُنَّا).

كل الدعاء والرجاء والابتهال والتضرع أن يكون وأنا أكتب فيه هذه الكلمات متقلباً في نعيم الجنان، بين الحور الحسان، يخدمه حِسَانٌ من الولدان، عند الرحيم الرحمن، وفي جوار النبي العدنان.

۞ الأستاذ عبدالرزاق بن موسى حسين الفيفي:[١]

رحم الله زميلنا الفاضل حسن رحمة واسعة وتغمده في واسع كرمه وجوده وإحسانه فنعم الرجل كان خلقاً وعلماً . . أَحَبَّهُ الجميع لخلقِ المروءة و التواضع والحمية للحق. وكانت خصاله تنضح بها سجيته الأصيلة الطبيعية.

كان مع الجميع أخاً كريماً نقياً وفياً فأحب الناس بصدق فأحبوه بصدق، كان فلتة زمانه في اللغة الإنجليزية . . قلَّما تجد في عمره من طلاب المعاهد العلمية الشرعية طالباً متميزاً في علم اللغة الإنجليزية .

لكنه كان في مستوى علمي أقرب إلى الأستاذية فكان مرجعاً للكثير من الطلاب في فيفاء على مستوى المعهد وغيره من المدارس، وصل لمرحلة علمية أنه كان ينظم شعراً باللغة الإنجليزية وما زال طالباً في الثانوية، كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلقه الإحسان . . فأحسن الله وفادته حياً وميتاً، واسألوا كيف ودعه وبكاه إنسان فيفاء، رحمك الله يا حسن وألحقك بالصالحين.

---

(١) حصل على البكالوريوس من قسم الشريعة من جامعة الامام، عمل مستشاراً بمجلس شؤون الأسرة بالرياض، وهو مستشار قانوني وشرعي، مختص بالتطوير المؤسسي والسياسات العامة.

الأستاذ موسى بن فرحان سلمان الفيفي:[١]

مر على هذه الحادثة زمنٌ طويلٌ تناسيناها قبل أن ننساها لأنها أوقعت في قلوبنا جرحًا عميقًا، لكن سأذكر بعض ما أتذكره أني أنا وأخي ومحمد جبران أحمد الحكمي علمنا بحادثه الأليم ورفضنا دخول المعهد صباحًا واتجهنا مباشرة إلى موقع الحادث ثم بعدها اتجهنا إلى المستشفى ولحقنا عليه وهو في سكرات الموت رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفارق الحياة ونحن معه ثم جاءَ أقرباؤه واتجهنا بعدها إلى موقع الدفن وقمنا بمساعدة من كانوا قد تجمعوا عند القبر، وأذكر أننا الوحيدون من زملائه ومما زادنا تشجيع وإصرارنا على مساعدتهم أن ذويه من كبار السن المتواجدين قد تجمعوا وظلوا يشيدون بنا وبوقفتنا معهم، مع أننا في موقف لا نحسد عليه فقد آلمنا فراقه أكثر من لو كان أحد جماعتنا المقربين.

ومن المواقف التي لا أنساها رغم عدم استرجاعي لكثير من ذكريات تلك السنوات من المواقف:

أنه في سنة من السنوات من كثرة ما كان الأساتذة يشجعون في المعهد على الإبداع بجميع أنواعه وينمون فينا المواهب استشعرَ أغلب الطلاب وأصر عليَّ الأستاذ جابر سلمان الفيفي – متعه الله بالصحة والعافية – أن أكتب شعراً وألحَّ عليَّ فجلستُ أعصر فكري وبدني حتى تمخض فكري وقلمي بكتابة أبياتٍ وكنت عندها في الصف الأول الثانوي ولم أدرِ من الشخص الذي أثق به لأعرض عليه الأبيات ويصححها لي دون أن يضحك مني أو يفضحني، فما وجدت إلا

(١) حصل على البكالوريوس من قسم اللغة العربية من جامعة الملك خالد ، حالياً معلم بمكتب تعليم فيفاء (مدرسة الكوابسة الابتدائية).

أن أختار ذلك الفقيد على قلبي وعلى قلوب محبيه ومن عرفه، فصحح لي وبدل لي بعض الكلمات وبالفعل عرضتُ قصيدتي على الأستاذ جابر وتمت إجازتي وأصبحت شاعراً لولا أني فيما بعد عرفت قدر نفسي وتوقفت عن هذه المغامرة الخطيرة.

❊❊❊

نماذج من خط يده رَحِمَهُ ٱللَّهُ

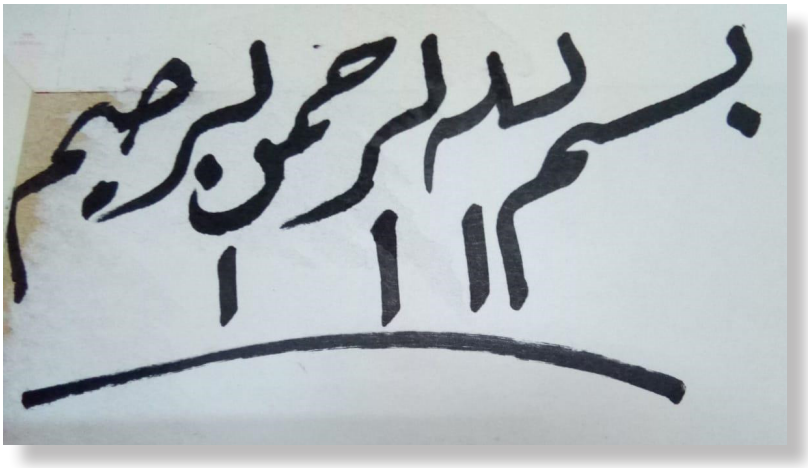

النموذج الأول من خطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البسملة بخط الرقعة

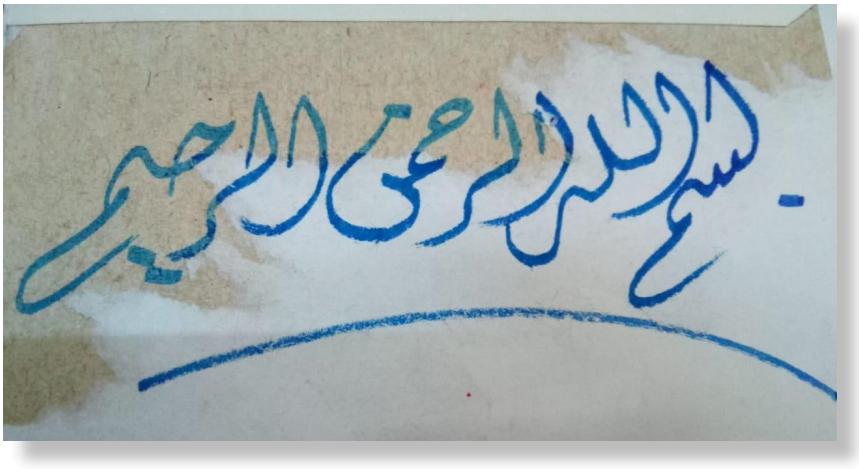

النموذج الثاني من خطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البسملة بالخط الديواني

قصيدتين مسودتين من خط يده رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

القصيدة الأولى « رثاء في شَعَرِه » كتبها بخط يده رَحِمَهُ ٱللَّهُ

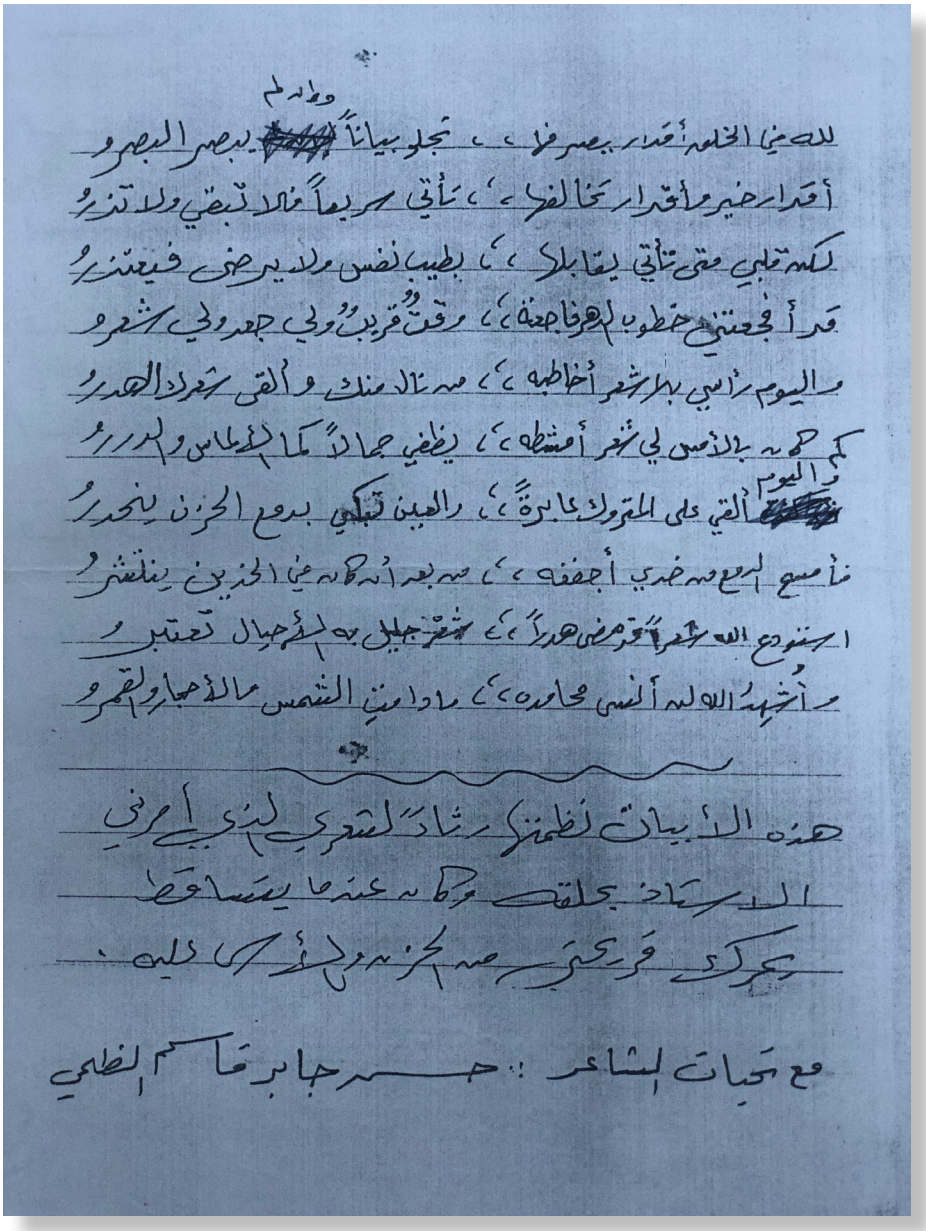

القصيدة الثانية « كوتني شجوني » كتبها بخط يده رَحِمَهُ ٱللَّهُ

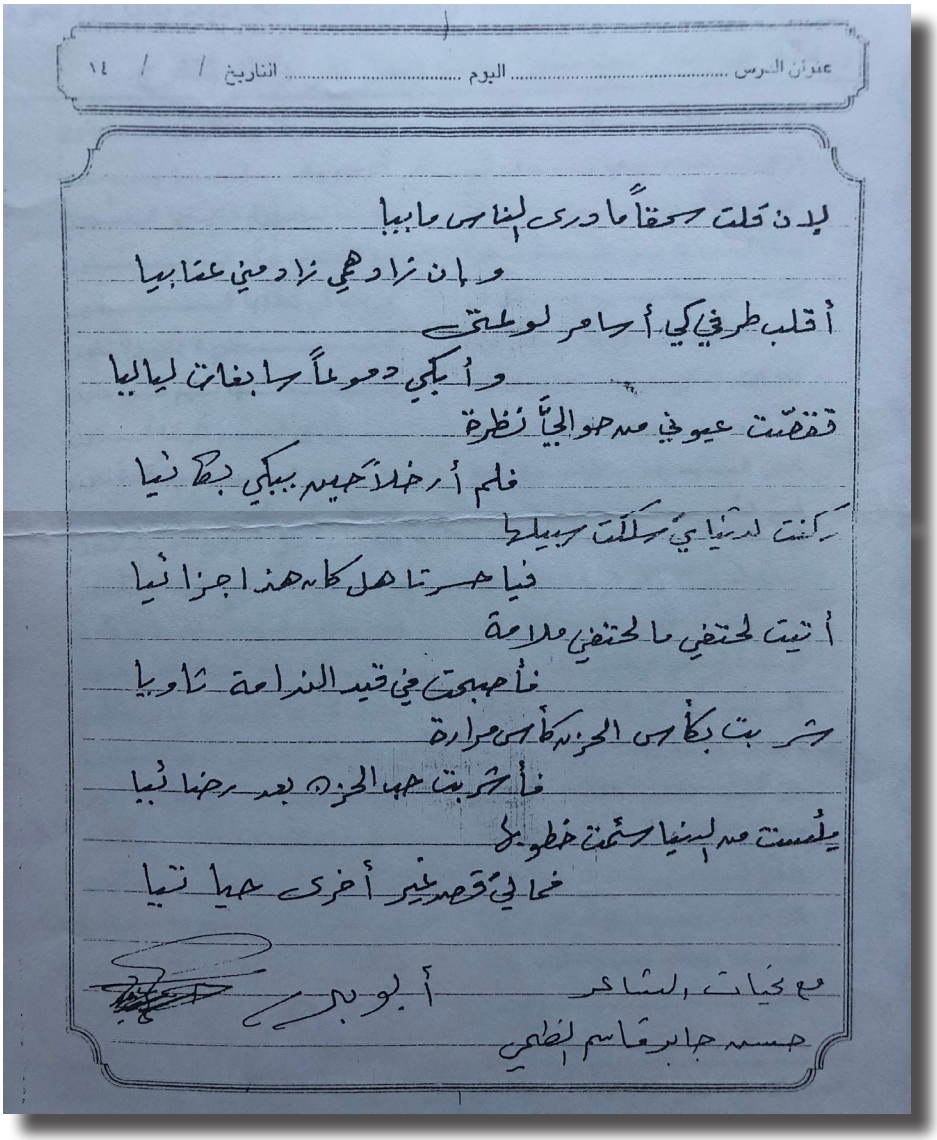
عنوان الدرس ..... اليوم ..... التاريخ / / ١٤

لئن قلت حقاً ما درى الناس ما بيا
وإن زاد همي زاد مني عتابيا
أقلب طرفي كي أرى من لو ملتقى
وأبكي دموعاً سرا بغات ليا ليا
تقضّت عيوني من هواك الجيا نظرة
فلم أر خلاً جيده يبكي بكا نيا
كنت لدنيا ي سكلت سبيلها
فيا حسرتا هل كان هذا جزائيا
أتيت لحتفي ما لحتفي ملامة
فأصبحت في قيد الندامة ثاويا
شربت بكأس الحزن كأس مرارة
فأشربت منها الحزن بعد رحيا نيا
ملئت من البيتا ستة خطوط
فما لي قصد غير أخرى حيا نيا

مع تحيات الشاعر أبو بكر
حسين جابر قاسم الظفري

موقف رأيته

لقد رأيتُ موقفاً بأم عيني أدهشني في حسن خطه وجماله لدرجة أن زملاءه ومعلميه يعتمدون عليه في كتابة الوسائل التعليمية، لتكون له بصمة وتشجيعاً له في إبراز موهبته التي كانت نادرةً بين أقرانه :

أذكر في يومٍ من الأيام طلب معلم اللغة العربية مشاركة وسيلة لقصيدة في مادة الأدب العربي، وأُسْنِدَ الطلب للطالب «موسى» السابق ذِكره، أحد زملاء المرحوم «حسن» وربما نسيَ «موسى» أو انشغل عنها، فتذكر صبيحة يوم ذلك الوقت المحدد لإحضار الواجب، فما كان منه إلاّ أن اشترى قلماً ولوحة، وكنت مستغرباً من شرائه لها في هذا الوقت المبكر.

فذهب بها إلى المرحوم «حسن» ليكتب له هذه الوسيلة التعليمية، وقد رأيته يكتبها مستنداً على ثلاجة الآيسكريم بسوبر ماركت اليمامة، فكان خطه بين الجمال والإبداع والرسم الجميل، خفيف اليد سريع الكتابة، رغم فقدانه لأصبعه الإبهام في يده اليمنى، ولم تعق موهبته من الظهور.

وكذلك كنت أراه دائماً لا يقضي وقت الفسحة كبقية الزملاء في كلام ومزاحٍ بل كان يقضيها في مكتبة المعهد العلمي يقرأ في الكتب الأدبية والعلمية، ويستغل وقته بما يعود عليه بالنفع والفائدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له.

❊❊❊

حديث ذو شجون من صديقه ومعلمه[١]

من الصعب التحدث عما يعيد للذاكرة أحزانها ولقلوبٍ لم يندمل من لوعة الفراق جراحها، ولكن الأصعب من ذلك أن نكتم ما عرفناه من محاسن وفضائل عن حبيبٍ غيبه عنا قضاءُ الله وقدره ليتم نقلها إلى محبٍ أو عزيزٍ أو مُطلعٍ أو مُؤرخ أو حتى محبٍ للاستطلاع، لتكونَ سبباً في ذكرهِ والدعاءِ له بالرحمة والغفران، أسكنه الله فسيح جناته وتقبله وجمعنا به في مستقر رحمته.

زد على ذلك أنْ لعل ما قلت وقاله عنه من عرفه يكون مما تستنير به الأجيال ليحققوا ولو بعضاً مما حققه فيما كتب له من عمر ولو كان قصيراً ويحذوا حذوه ويكون له ذلك نوراً في قبره، وسع الله عليه ورحمه.

وبما أني والمرحوم وأسرته من بيت واحد ونعرف بعضنا معرفة الجماعة الواحدة والبيت الواحد من حيث السؤال عن الأحوال والمشاركة في الأفراح والأتراح، فقد كتب لي أن أتعرف عليه وأتشرف بصحبته وأستفيد من مواهبه وقدراته، فكيف كان ذلك؟

وشاء الله تعالى أن أقابل فقيدنا المرحوم حسن جابر قاسم الظُلمي الفَيْفي في بقالة بجوار منزلٍ كنتُ أستأجره في شرقِ فيفاء في أواخر عام ١٤١٦هجرية، وهو عائدٌ من المدرسة ظهراً، فقد سلَّمَ عليَّ وصافحني بحُكمِ المعرفة السالفة الذكر

(١) الأستاذ علي بن يحيى الظُلْمي الفَيْفي، حصل على البكالوريوس من جامعة الإمام قسم اللغات والترجمة عام ١٤١٥هـ، تعين معلماً في تحفيظ القرآن الكريم بفيفاء عام ١٤١٦هـ ، ثم حصل على الماجستير في تدريس اللغة الانجليزية لغير الناطقين بها من جامعة ولاية نيويورك في الولايات المتحدة الامريكية عام ١٤٣٦هـ، حالياً مشرف اللغة الانجليزية في مكتب تعليم فيفاء.

بيننا، ودار بيننا حديثٌ، حينها أظهر لي شغفهُ باللغة الإنجليزية وأنه يُريد تعلمها وتطويرَ نفسهِ فيها، وقد كنتُ من هواةِ اللغة مثله، وما سمعته منه أفرحني كثيراً لأني كنتُ أنا المحظوظ بالتعرف عليه، ولأني وجدتُ ضالتي التي أبحث عنها وهي ممارسة اللغة مع ضليعٍ فيها أَستفيد منه وأُفيده بما أعلم، حتى وإن كان قليلاً طلبتُ منه ضيافتي فاعتذر، ووعد بالزيارة في وقت آخر.

وقد وفى بما وعد فقد بدأت الزيارات بيننا من بعد تلك المقابلة بوقتٍ قصيرٍ واستمرتْ وأثمرتْ أيما إثمار لي وله، بفضل ما وهبه الله من علمٍ وذكاءٍ وإبداعٍ في تلك اللغة.

ولعلنا بصحبتنا تلك فتحنا آفاقًا جديدة لتطوير أنفسنا بأنفسنا وبإمكانات تلك الفترة، فقد كانت تلك البداية بداية حياة جديدة ووصال لم ينقطع ليس بيني وبينه بل بين الأسرتين إلى يومنا هذا، وهذا مما يُسجلُ للمرحوم والله أسأل أن يديم الوصال والمودة ويكتب الأجر والمثوبة لمن سعى في إيجادها.

وبما أن حلقة الوصل بيني وبين المرحوم ومحور حديثنا وما جمعنا واشتركنا فيه هو ما نعرفه وما يمكن أن نعمله لتطوير أنفسنا في هذه اللغة التي لا نعرف عنها إلا ما نتلقاه أو نسمعه من الآخرين دون علمنا بصحة ما نسمع أو نتلقى وذلك لقلة المصادر المتوفرة لدينا حينها، ولكون المرحوم قد جمع الكثير من المفردات والمصطلحات والقواعد المتعلقة بتراكيب اللغة وأصبح يجيد مهارات اللغة وقد ساعده على ذلك إجادته للغة العربية وكتابة الشعر وإجادة الخطوط، فنحن بحاجة لمصادر موثوقة وطرق جديدة تجعلنا نتيقن من صحة ما لدينا فقد وفقنا الله بأن تعرفت على طبيب أطفال أمريكي من أصول نيجيرية في مستشفى فيفاء

يدعى (أباويل) يتكلم اللغة الإنجليزية بطلاقة ودعوته لزيارتي فكان يزورني أيام الجمعة وقد أبلغت المرحوم بذلك وكنا نجتمع سويـًا ونتحدث إليه ونستفيد منه، وقد تطورت العلاقة بيننا وبين الطبيب إلى أن أصبحنا نلتقي جمعةً عندي وجمعةً عند أسرة المرحوم حسن بن جابر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

بقينا في تواصل معه ونهلنا من علمه ومصطلحاته الكثير، فجزاه الله عنا خير الجزاء ورحم فقيدنا وجمعنا به في مستقر رحمته.

لقد عرفت المرحوم حسن بن جابر قاسم الظُلْمي الفَيْفي محبـًا للغة الإنجليزية ومجيداً لها وفي سن صغيرة ومراحل مبكرة، وقد استفاد منه زملاؤه وأصدقاؤه فهو كان طالبـًا ومعلمـًا في آن واحد لما أعرف عنه من غزارة علمه في اللغة وقتها.

وقد كان لا يخرج في حديثه معي عن مجال اللغة الإنجليزية رغم شاعريته وإبداعه في قرض الشعر ورسم الخطوط العربية، ولكن لفت انتباهه لتذوقي الشعر كثرة استشهاداتي بما حفظته من كتب الأدب وما سمعته من أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورحم أستاذي حسن بن جابر قاسم الظلمي الفيفي، فبدأ يبادلني الحديث عن الشعر ويسأل هل لي ميولٌ في قرض الشعر، فأعلمته أني لست من ربانه ولكني أتذوقه وأطربُ لسماعه، ولذلك كنتُ محظوظـًا بسماعِ أشعاره حيث كان يعرض عليَّ قصائده في مسودات وكانت بليغة ورائعة على وعد أن تصلني النسخ المطبوعة ولكن تمر الأيام وتختلف مناسبات الاجتماعات واللقاءات مما يجعل أخذ تلك النسخ يتأجل من حينٍ لآخر على أمل أن تصلني تلك القصائد مجتمعة إلى أن حال بيننا وبين ما أملنا قدرٌ آمنتْ به قلوبنا وإن كانت حارتْ له عقولنا وبقينا

أعواماً نكتمُ أحزاناً ولا نذكرُ أحداثاً مرتْ بنا معه حتى ولو كانت رائعة لكيلا يعصف بنا ألَـمٌ ألَـمَّ بنا قبل أعوامٍ ليصبح وليد اللحظة مجدداً ومتجدداً.

ولهذا كله لم أطرقَ باباً يُذكِّرُ أحباباً بمصابٍ حتى وإن مرَّ عليه دهرٌ فهو ما زال جرحاً لـمْ يندمل لديَّ ولدَى كل من عرفه، فما بالك بوالدٍ ووالدةٍ وأشقاء، ولم أطلب من أقرب الناس له ولي وهو الدكتور يحيى بن جابر قاسم الظُلْمي – حفظه الله – أي شيء عنه لأني مصاب بما أصيب به وجرحنا واحد، وقد وصل بي الأمر أني أتجنب ذكرَ المرحومِ أو التحدث عنه مع دكتورنا الفاضل لأني ألمس منه عدم ذكرٍ لهذا الموضوع فعلمت يقيناً أن ما بقلوبنا حول الفقيد واحد وأن الشعور نفسه حيالَ ذكر المرحوم.

فلا هو يُذكرني ولا أنا أُذكره بما مر بنا وبهم من جميل الذكريات مع المرحوم لأن ذلك يغير مجرى الفرح إلى عكسه، ولا بد لنا من الإيمان بالقضاء والقدر فبقيت على علمي به غير مستزيد عن ما لا أعرفه عنه لما أسلفت من أسباب، ولذا فقد عرفته هاوياً محبا للغة الانجليزية مجيداً لها، وشاعراً وخطاطاً وخطيب مفوه – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى–.

وقد كان في ضيافتي ليلة الخميس ١/ ١/ ١٤٢١هـ وبقي معي إلى حدود الساعة التاسعة من يوم الجمعة واستأذن للمغادرة لأن لا أحد سيلقي خطبة تلك الجمعة غيره كما كان يقول في كل مرّة أُلحُّ عليه بالبقاء معنا – رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكتب أجره–.

وكانت تلك الساعة هي آخر ساعة رأيته فيها، وكانت كلماته الأخيرة (لو كنت أعلم أن هناكَ من سيقرأ خطبة اليوم لبقيت معك)، وقد عادَ لبيته على أمل

اللقاء به في إجازة الأسبوع المقبل إن لم يكن قبلها، ولكن أراد الله تعالى أن لا نلتقي في دنيا فانية سائلاً الله أن يجمعنا في مستقر رحمته.

ولقد تلقيت خبر وفاته صبيحة الثلاثاء في نفس الأسبوع وقد صدمني الخبر ولم يستوعبه عقلي ولم تسمع أُذني قبله بحدثٍ تدمع له عيني تجاوبـًا مع عظمه إلاَّ هذا الخبر، ولم يعصف بي خبر وفاة بعده مثله إلاَّ وفاة والدي رحمهما الله تعالى، أسأل الله أن لا يريني ولا يريكم – أيها القراء – مكروهـًا في عزيز أو قريب أو حبيب.

وقد كنت ضمن المشيعين لجنازته وقد هممت مراراً بالسلام عليه قبل دفنه ولكني لم أستطع، لا لشيءٍ سوى أن رؤيته قد تبقى في مخيلتي وتضاعف أحزاني وأنقل إلى عقلي الباطن خبراً بالصوت والصورة يجعلُ الحزنَ يخيمُ عليَّ أعوامـًا وأعوامـًا، وآثرت البعد عن الشروع فيه.

وكان من ضمن المشاركين يومها الدكتور الأمريكي المسلم (أباويل) الذي بكى عليه كما بكينا على فراقه وبكى كل من عرفه أو سمع عن نبأ موته – رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى –.

۞ وختاماً...

لقد كان لقاؤنا قصيراً حيث استمر لبضع سنوات فقط ولقد عرفتُ عن المرحوم الكثير والكثير ولكن ما اجتمعنا من أجله وعملنا على تطويره كان في مجال اللغة الإنجليزية، فقد أبحرنا سويـًا في تلك اللغة وشجعنا أنفسنا على الاستزادة من مصادر خارجية ومارسنا اللغة سويـًا حتى صرنا على دراية بأشياء كثيرة كنا نجهلها عن هذه اللغة.

ولا يسعني في نهاية هذه النبذة القصيرة عن المرحوم إلاَّ أن أعتذر لأهله وأحبابه ومعارفه وأصدقائه عن أي قصور حدث مني في الحديث عن شخصية برزت وعرفها الكثير، ولكن هذا ما استطعت إيصاله لكم عما عرفت عنه خلال صلتي به القريبة لمدة تزيد عن الثلاث سنوات، وأقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى رحمة واسعه وأسكنه فسيح جناته ووسع مدخله وغفر كل ذنوبه وعصم قلوبنا أهلاً وأحباباً وأصحاباً بالصبر والسلوان، إنا لله وإنا إليه راجعون.

❊❊❊

ما يقوله عنه اليوم معلموه وأساتذته

الشيخ عبدالله بن حسن بن أحمد الفَيْفي:[١]

الطالب حسن بن جابر بن قاسم الظلمي الفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ضمن نخبة من الطلاب المتميزين من جهة الحزام نيد المزرة، كان ميوله الأكثر إلى المواد العلمية رغم التحاقه بالمعهد وكان رغم بعد سكنه عن المعهد من المنتظمين في الدراسة بصورة ممتازة، وقد رأينا تميز زملائه من تلك الجهة، ومنهم شقيقه الدكتور يحيى بن جابر الظلمي الفيفي – حفظه الله – الذي سرنا تميزه وإبداعه في الجانب الذي تخصص فيه بارك الله في الأحياء من طلابنا الذين التحقوا بالمعهد ونفع بجهودهم في الميادين التي يعملون بها ورحم الله الأموات منهم، وجمعنا بهم في الفردوس الأعلى من الجنة، ورعاك الله أيها المؤلف الفاضل والكاتب المبدع ووفقك لكل خير.

الأستاذ سليمان بن علي بن قاسم الفيفي:[٢]

الطالب حسن بن جابر بن قاسم الظلمي الفيفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عرفته فترة دراسته بالمعهد وقبل وفاته، أذكره كما لو كان أمامي الآن، والمعلم يمر به كثيرٌ من الطلاب

ولكن غالبًا لا يبقى في ذهنه إلاّ من وضع بصمة ما، لاسمه وشخصيته وسمته وأخلاقه وأدبه ونباهته.

---

(١) مدير المعهد العلمي بمحافظة فيفاء تلك الأيام، وقد أنهى مهمته بالتقاعد المبكر عام ١٤٣٦هـ.

(٢) حاليًا معلم النحو والعَروض بالمعهد العلمي في فيفاء.

والطالب المرحوم بإذن الله حسن بن جابر بن قاسم الظلمي الفيفي كان طالباً جمع الخلق والتواضع والنباهة والأدب والذكاء المتقد، أديباً مثقفاً فصيح المنطق، يأسر من عرفه بقمة أخلاقه وأدبه مع معلميه وزملائه، في فصله كان يحسن الإنصات والتلقي ويحسن الإجابة، موهوب في خطه وإجابته.

فوجئ الجميع في صبيحة ذلك اليوم الذي صار فيه الحادث له، وأدى إلى وفاته وانتقاله إلى جوار ربه، تاركاً في نفوس من عرفه من معلميه وزملائه وأصدقائه، ذكرى طيبة تلهجُ الألسن له بها دعاء بالرحمة والمغفرة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكتب لوالديه الأجر في مصابهم، وعوضهم خيراً بأشقائه وذرياتهم، والحمد لله في كل حال وعلى كل حال .

الشيخ يحيى بن حسن يحيى الفيفي: (١)

الطالب المبدع حسن بن جابر قاسم الفيفي – رحمة الله تعالى عليه – تشرفت بتدريسه عدة سنوات بالمعهد العلمي بفيفاء، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قدرٍ ملفت من التميز ولديه هو وإخوانه حرص شديدٌ على الدراسة ومواظبة الحضور رغم بعد مقر سكنهم، وقد يسر الله لي أثناء دراسته زيارة لمكان سكنهم في جهة بعيدة من جبل فيفاء بطرقها الوعرة وقدرت لهُ ولإخوانه المشقة التي يعانونها في الحضور وعرفت حسن كرمهم واستقبالهم، ولكن بقدر من الله لم يكتب له البقاء، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى وبارك الله في إخوانه .

---

(١) معلم بمعهد فيفا العلمي، حالياً وكيل المعهد، ومدير المكتب التعاوني بمحافظة فيفاء.

الأستاذ جابر بن سلمان قاسم الفيفي:[١]

عرفت الطالب حسن بن جابر قاسم الظلمي الفيفي منذ فترة دخوله المعهد العلمي كان متميزاً جداً في أدبه واجتهاده وبلاغته في شعره، وكان متواضعاً محباً لزملائه وعلاقته القوية الأخوية معهم بدليل القصائد الرثائية التي سطروها فيه، محترِماً لأساتذته ولمعهده إدارة وهيئة تعليمية بدليل ما أودعه في أبياته، وبالذات قصيدته في رثاء شَعْره التي تبين الصراع بين رغباته الشخصية واحترامه لتعليمات المعهد وقتها، وكان عملةً نادرة في المعهد العلمي في فيفاء حيث تميز عن أقرانه بالأدب والإبداع وحَسنُ الصفات، وقد كان له من اسمه نصيب، غفر الله وتغمده بواسع فضله ورحمته.

❊❊❊

(١) معلم مادة الأدب العربي بمعهد فيفا العلمي، تقاعد عام ١٤٣٨ هـ بعد أن خدم ٢٨ سنة بالمعهد العلمي بفيفاء، كان حديثه عن المرحوم عبر مكالمة هاتفية .

هذه بعض القصائد

للشاعر الأديب : حسن بن جابر بن قاسم الظلمي الفيفي

- رحمه الله وغفر له -

- درة من بحور الحسن
- أمسى الحب ذكرى
- تاه الفؤاد
- كوتني شجوني
- رثاء
- شجو الفراق

القصيدة الأولى

درة من بحور الحسن

فيفاء يا خير أرض العجْم والعربِ ... يا دوحةً أزهرت من نشوة الطربِ

يا درة من بحور الحسن عانقها ... غصن الجمال وألقى ساحر الأدبِ

أحجارها التِّبر والأشجار زينتها ... صنع الإله فلا تختالُ بالعجبِ

قد اكتست من جمالٍ فاتنٍ حللاً ... حتى تعالت ورامت غِبَّة السُّحبِ

خضراء أرضٍ عبيرُ الورد عطَّرها ... سماؤها أشرقت من شدة الهَذَبِ

تأتي الغزالة من شرقٍ تباغتها ... تلقي عليها خيوطًا رونق الذهبِ

كادت من الفخر أن تغْدو شمائلها ... برقًا يلوح ويعلو شامخ القِبَبِ

تهفو إليها الورى من كل ناحيةٍ ... كالطفل يهفو لأُمٍّ قلبه وأبِ

ضمت إلى حضنها من جاء ينشدها ... فأمّنت قلبه من وحشةِ الغُرَبِ

لا أرتضي من بلاد الله من بدلٍ ... فيفاء من أصلها ريحانة النَّسَبِ

الناس تمضي لأرض الله مقبلةً ... وعدت أمضي لفيفا معقلَ الرُّتَبِ

كفانيَ الفخر من فيفاء أن لها ... مجدا عريقا وحراسا من الشُّهُبِ

أما ترى كاتبي التاريخ كم كتبوا ... فلتسألِ الناس عما جاء في الكتبِ

أغصان أشجارها أرماح فارسها ... والخيل مقبلةٌ والسيف من لهبِ

لسان حال الورى ألقى دلائله ... والناثر الفذُّ ألقى راقيَ الخُطَبِ

كل تغنى بفيفا حيثما وقفوا ... والطير تشدو بلحنٍ فاتنٍ عَذِبِ

فـلا تـقـولـنّ إن الأمـــر ذا عـجـب ... يـكـفـي مـضـيّـك فـيـهـا سـاعـة الـرَّحَـبِ
قـد أودع الله في فـيـفـاء عـاطـفـة ... حتى الصخور لها عـطْـفٌ مـع الـتُّـرَبِ
خـضـر الـجـنـان أفـاضـت رونـقـًا وتـرى ... غصنًا يميل بـغـصـنٍ كـان مُـنْـسَـكِـبِ
يـا نـفـسُ كـونـي لأرض الـعـزِّ وافـيـةً ... أو ارحـلـي مـن نعيم الـعـزِّ واغْـتَـرِبـي
فـلـسـت ألـقـى لـفـعـل الـخـيـر جـازيـةً ... إلا الـمـثـيـل فـأوفي الـحـق واقـتـربـي
هـذي روائـع مـن ذا الـقـلـب أنسجها ... تـجـري بقلبي كـمـاءٍ نـاضـحٍ نَـضِـبِ
وهْـي الـحـقـائـق فـلـتَـنْـظـر لـواقـعـهـا ... عـيـنـي تـقـولُ ومـا للعين في الـكـذبِ
والختم صلُّوا على المختار ما شرقت ... شـمـسُ الـنـهـارِ وفـاءَ الليلُ بالشُّهُبِ

❊❊❊

القصيدة الثانية

أمسى الحبُ ذكرى

ومضات حور العين تضرم ناريا ... وفؤاد حبي يستجيب مناديا
لبيكِ إن الحبّ قد خفقت به ... تيم القلوب وبادرته سواجيا
أبمثل هذا الحب تخفق مهجتي ... أوَ يعترينني الحب قبل مراديا
أسْلمت أمريَ للحسانِ يقدنه ... أنّى يشأن فما أعاب قياديا
لا أرتجي للحب قولة قائل ... إن الحسان رضاؤهن رضائيا
مالي وفاتنتي التي أحببتها ... أبسحرها ضيْجمتُ أمر عدائيا
إن العيون إذا نظرتَ رموشها ... تجِمَت رمتني بالهموم تواليا
كحل تدلدل تستطيب جماله ... فلقسمهن تساكبت عبراتيا
ولعطفهنّ أكاد أفقد جرأتي ... أغضي من الطرفين خوف حيائيا
والخدّ وردٌ حين يخجل تنطوي ... كل المحاسن فاسْتكنتُ مكانيا
إن قندلت فالأرض تصبح نعلها ... زِدْ و النجوم اللامعات مرائيا
والزِّبرِقان بنوره قد ازدفا ... من بعد أن كان المبين ظلاميا
أفما لقلبيْ أن يجور به جوىً ... وقد استلانت للحبيب حباليا
إنّي تجرعت المرار بغصّةٍ ... والحب مرٌ قد أشاد شقائيا
طالت بيَ الأشجان طال عذابها ... فدع الشجون لتستزيد عذابيا
جَهِلتْ بيَ الدنيا وما أنا جاهل ... واختانت الأقدار بعد وفائيا

شَجوُ الفِراق

إن قلت قولا ما لقوليَ سامع ... أفلا تطيق الناس أمر سماعيا

قيل المحب تسره نظراته ... وقد اقتديت فضيْجمت نظراتيا

يا حسرتا إني ظننتها وغنة ... قد أرمشت للحب قبل وصاليا

ما طاب عيش النفس أي معيشة ... إذ أسبغت مني الدموع ثيابيا

آه وليت الآه يطفئ لوعتي ... إني عليلٌ لم ألاق دوائيا

أضْوتنيَ الأيام من زفراتها ... إذ ما يزال الوقت وقت شبابيا

فتناثرت مني دموعُ ندامةٍ ... أبكي على الأيام قبل غراميا

أيام أُنسي والطفولة والرضى ... أيام لا أحزان تطرق بابيا

شتّان بين الحال والحال الذي ... أسقتنيَ الأحباب غُصَّ عتابيا

وغَدَتْ طيور العرش تُصعدني إذا ... طارت وطير السابحات خوى بيا

أُشْرِبت حبًا قبل علم صنيعه ... إيْهِ الشراب فما أمل شرابيا

الناس ترقص في ظلال جنانها ... إذ أتبع الركبان قبل ضياعيا

علِّي ألاقي في ذهابيَ راحة ... متناسيًا ما في الغرام جرى ليا

❊❊❊

القصيدة الثالثة

تاه الفؤاد

لِبيض الخدود مكرماتٌ تعظمُ ... وإنّي بهنَّ لا محالةَ مغرمُ

أهيْم لذكرهنَّ أسرع بالخطى ... وقلبي لهنّ طائرٌ يَتَرنَّمُ

لهن البقاء هنّ ناري وجنتي ... وهنَّ الورود بالرّياض وأعظمُ

وهنّ على الأرضِين لؤْلؤ فتنةٍ ... ومن يكتسبْ دُرّاً نفيسًا سيغْنمُ

إذا ما رأيْت الخُود تقبل ألجمتْ ... لساني فما بها لساني يُكلِّمُ

وتاه فؤادي في غيابةِ سحْرها ... فما عاد لي قولٌ يقال ويُنظمُ

أقول لعيني دقِّقي ما ترينه ... لعلّ خيالاً في عيونيَ يُرسَمُ

فإني أرى منها غدائر حِنْدسٍ[١] ... لطيفٌ لما سها إذا هي تُدسَمُ

لقد شعْشعتْ أنوارها وخصالها ... عِجافٌ[٢] ثناياها وثمَّة مبْسمُ

شفاةٌ قد احمرّت ورقّت وإنني ... أحنّ إليها لو أموتُ وأعدمُ

فإن هي إلا آيةٌ نغماتها ... إذا هَمَست حروفها أتَألَّمُ

وأسبح في بحر الخيال مجنِّحًا ... أناشدها أنّى تجيء وتقدمُ

تقلِّب عينيها يُهيجُ صبابتي[٣] ... وتشعل ناراً بالقرارة[٤] تُضرمُ

---

(١) غائر حندس : خمال شعر شديدة السواد

(٢) عجاف : مستقيمة ورقيقة

(٣) صبابتي : الحب الشديد

(٤) لقرارة : أصل القلب

شَجوُ الفِراق

سيوف العدا لا أقْشعرُّ لذعْرها ... وإنّي بحسن السانحات لأُهزمُ

كواعب أتراب تجلّت نهودها ... كأَكْؤسِ عَسْجدٍ رُخومٌ وصِيَّمُ

ونحرٌ دقيقٌ من شديد نقاوةٍ ... ترى الماء فيه جارياً يتغيْلمُ[1]

وخصرٌ رقيقٌ لو تلامسه يدٌ ... لعاشتْ طوال عمرها تَتَنعّمُ

وأرْدافها كالموج في سكناته ... ووصفي قليلٌ لو تُقاس وتعلمُ

فهذا قليل من كثيرٍ وصفته ... وبيض الضباء للمفاتنِ منْجمُ

وكل البرايا للعقول تميْزُها ... وكل رفيعٍ بالرفيع يُقيَّمُ

❊❊❊

(١) يتغيلم : ينساب

القصيدة الرابعة

كوتني شجوني

لئن قلت سحقًا ما درى الناس ما بيا ... وإن زاد همي زاد مني عتابيا
أقلب طرفي كي أسامر لوعتي ... وأبكي دموعًا سابغات لياليا
تقصت عيوني من حواليَّ نظرة ... فلم أر خلا حين يبكي بكائيا
ركنت لدنياي سلكت سبيلها ... فيا حسرتا هل كان هذا جزائيا
أتيت لحتفي ما لحتفي ملامة ... فأصبحت في قيد الندامة ثاويا
شربت بكأس الحزن كأس مرارة ... فأشربت حب الحزن بعد رضائيا
يئست من الدنيا سئمت خطوبها ... فما ليَ قصد غير أخرى حياتيا

❊❊❊

القصيدة الخامسة

رثاء

هذه الأبيات نظمتها رثاء لشَعَرِي الذي أمرني الأستاذ بحلقه، وكان عندما يتساقط يحرك قريحتي من الحزن والأسى عليه . . .

لله في الخلق أقدار يصرفها ... تجلو بياناً وإن لم يبصر البصرُ
أقدار خير وأقدار تخالفها ... تأتي سريعاً فلا تُبقي ولا تذرُ
لكن قلبي متى تأتي يقابلها ... بطيب نفس ولا يرضى فيعتذرُ
قد أفجعتني خطوب الدهر فاجعة ... فمنذ وقتٍ ولي جعد ولي شَعرُ
واليوم رأسي بلا شعر، أُخاطبهُ: ... من نال منك وألقى شعرَك الهدرُ
كم كان بالأمس لي شعر أُمشطهُ ... يُظفي جمالاً كما الألماسُ والدررُ
واليوم أُلقي على المتروك عابرةً ... والعين تبكي بدمع الحزن ينحدرُ
فأمسح الدمع من خدي أُكفكفهُ ... من بعد أن كان في الخدين ينتشرُ
أستودع الله شعراً قد مضى هدراً ... شعر جليل به الأجيال تعتبرُ
وأشهد الله لن أنسى محامدهُ ... ما دامت الشمس والأجرام والقمرُ

❊❊❊

القصيدة السادسة

شجو الفراق

هذه قصيدة تصف مشاعري نحو زملائي وما أثبتته الأيام بيننا من أخوة وزمالة على مدار ست سنين مضت ونحن على وشك التخرج.

أقــول الــصــدق لــم تــفــد الــظــنــونُ ... بــأنَّ الــعــقــلَ يــقــربُــهُ الــجُــنــونُ
فــراق الــصّــحــبِ صــعــبٌ كــيــف أنّــي ... أُفــارقُــهــم وكــيــفَ بــه يــهــونُ
ألــلأفــراحِ أن تَــغــدُو رمَــاداً ... و يــا لــلــهَــول تــخــلُــفــهــا الــشُّــجــونُ
لــقــد أرســت بــيَ الأيــامُ بَــحــراً ... مــع الأصــحــابِ قــرّتُــهُ الــسُــنــونُ[١]
تَــعــانــقــتِ الــقُــلــوبُ بــكــلِّ فَــنٍّ ... ورامَــتْ في تــعــانُــقــهــا الــفُــنــونُ
أَلِــفــنــا الــبــعــضَ مــن بــعــضٍ وإنَّــا ... لــبــعــضٍ لا نُــكِــنُّ ولا نَــخــونُ
كَــمــا الإخــوان تــربــطــهــم صِــلاتٌ ... يــؤسّــســهَــا بــهــم قَــلــبٌ حَــنــونُ
فَــلا تَــفــريــقَ بــيــنَ الــصَــحْــبِ مهمَا ... يَــكُــنْ إنْ لــم تُــفــرقُــنــا الــمــنُــونُ[٢]
فــنــحــنُ الــيــومَ بــالأجــســادِ جــمــعٌ ... وَبــعــدَ الــيــوم أفــئــدةً نَــكُــونُ
فَــيــا أَسَــفــي إذا الأقــــدارُ قــالــت ... بــتــفــريــق ألــــي صــبْــر وعَــــونُ
ألــــي صــبــرٌ إذا الأحــبــابُ زالــوا ... وبَــاتَ يضمُّني لــيــلٌ لــجُــونُ[٣]
إذِ الأفــــراحُ بــاتــت حــيــثُ كــانــوا ... بــهــا أطــلالُ[٤] صــحْــبٍ لــيْ سُــجــونُ

---

(١) السنون : السنين
(٢) المنون : الموت
(٣) لجون : شديد السواد
(٤) الأطلال : ما بقي من الآثار

شَجوُ الفِراق

فـهـذا حـالُ عـيـشِ الـمـرءِ جمعٌ ... وتـفـريـقٌ وروضٌ والـطُـعـونُ[١]

لَـعَـمري إنَّ بُـعـد الـخِـلِّ صعبٌ ... يُـسـيـلُ الـدَّمـعَ تـذرفُـهُ الـعُـيـونُ

ولـكـنْ أمـرُ ربِّ الـكـونِ جـارٍ ... تـقـومُ بـأمـرِهِ الـسُّـحـبُ الـهُـتـونُ

فَـيَـا أصـحـابُ لا ننسى زمـانـًا ... بقينا فيه تحضنُنا الـحُـصـونُ[٢]

فـإنِّـي إنْ يـكـنْ في الـعـمـر بـاقٍ ... سـأذكُـرُكـمْ ولـو أنَّـا شُـطُـونُ[٣]

وأُوفـيـكـمْ وِصـالاً إنَّ وصـلـي ... لـكـمْ حـقٌّ كـمـا تـوفَـى الـدُّيـونُ

وإنْ ألـقَـتْ بِـنـا الأقـدارُ شتَّى ... فـإنَّ الـطـيـرَ تُـفـرِدُهـا الـوُكُـونُ[٤]

وتـجـمـعُـهـا عـلـى الأغـصـانِ جمعًا ... تـرانـيـمٌ وتُـطـرِبـهـا الـلُّـحُـونُ

ونـحـنُ الـيـومَ قـد نـصـبـوا لأمـرٍ ... فـلا تُـفـنـي عـزائِـمـنـا الـمُـجُـونُ[٥]

فـإنَّ الـريـحَ قـد تُـجـري ثِـقَـالاً ... ويـعـقُـبُـهـا لـشـدَّتـهـا سُـكـونُ

فَـيَـا أصـحـابُ لـيْ قـلـبٌ تغنَّى ... بِـحُـبِّ الـصَّـحـبِ تُـشْـجيه الـشُّـجُـونُ

فـقـامـت لـيْ تـرانـيـمٌ ووزنُ ... وقـافـيـةٌ عـلـى الـمِـصْـراعِ نُـونُ

وحـقُّ الله هـذا الـصِّـدقُ مِـنِّـي ... وفـيـضُ الـشَّـرحِ تُـجْـمِـلـه الـمُـتـونُ

❊❊❊

(١) الطعون : المصائب

(٢) الحصون : كناية عن الفصول الدراسية

(٣) شطون: متباعدون

(٤) الوكون : الأعشاش

(٥) المجون : الترف

لماذا شجو الفُراق؟

جاءت تسمية هذا الكتاب بعنوان آخر قصيدة له «شجو الفُراق» لشهرتها وانتشارها بين القاصي والداني، حتى ارتبط هذا العنوان بهذا الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومما يزيد الفؤاد حرقةً ولوعةً وألماً لما تكون قراءتها بعد رحيله.

بين فيها الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الصلة القوية التي ربطته بزملائه على مدى ست سنوات في مقاعد الدراسة ومحاضن العلم، العلاقة الإيمانية والأخوية وتقاربهم في السن حتى صاروا مثل الجسد الواحد، وكانوا على قلب رجلٍ واحد، فالأرواح جنودٌ مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».(١)

ودّعهم بقصيدة عصماء ونونية جميلة وهم على وشك التخرج من المرحلة الثانوية بالمعهد العلمي في فيفاء عام ١٤٢١هـ وكل منهم ينظر للمستقبل أمامه مشرقًا، ويترقبه بشوقٍ وتلهفٍ له، ليعيش بقية حياتية مسروراً . . ولكن!

قضاء الله كان أسرع من التخرج، فقد اختارته الأقدار من بين زملائه في ذلك الصباح المشرق الذي سرعان ما أظلم برحيله. فجعنا بموته في صباح الثلاثاء الموافق ٦ / ١ / ١٤٢١هـ في حادث مروري مروعٍ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له وجعله من ورثة جنة النعيم - وقد تأثر لفقده الجميع، وعم نبأ فقده أرجاء فيفاء، وخيّمت عليهم مشاعر الحزن والأسى.

---

(١) صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب الأرواح جنود مجندة.

رثاه إخوانه وزملاؤه ومحبوه وقرابته بقصائد يثور منها الحزن والألم اكتوت قلوب أصحابها بنار الأسى . . إنا لله وإنا إليه راجعون.

❊❊❊

متى كُتِبت هذه القصائد؟

كتبت هذه القصائد في وقتٍ مبكر من عمر الزهور، أما الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقد ترنم بهذه القصائد في وقتٍ مبكرٍ من عمره، فهو يعتبر في سنٍ مبكرة جداً، وأن هذه القصائد ومفرداتها قد توهم قارئها وسامعها أنها في سنٍ قد اطلع على الشعر وأنواعه وبحوره، ولكنها موهبةٌ من الله منحنها لهذا الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والقصائد الرثائية التي كُتبتْ كانت في أعمار مبكرة لا تبلغ الحادية والعشرين من أعمار هؤلاء الشعراء، وربما لم تصل لما يرمون له لو كتبوها في عمر الأربعين، ولكنها خرجت صادقة معبرة لما يختلج في صدورهم تتطاير منها الآهات حزنًا من اللوعة والأسى لفراق صديقهم، وخليلهم الذي قلَّ أن يوجد له نظيراً في أيامهم التي عاشوها مع بعضهم البعض.

كان الرثاء من أهمِّ الأغراض الشعرية التي عالَجَها الشُّعَراء منذ الجاهلية حتى يومنا هذا، وطبيعةُ هذا الغَرَض مُنسَجِمة تماماً مع العوامل المؤثِّرة في الشُّعَراء، والتي تُحَفِّزهم إلى قرضِ الشعر، فالحزن على فَقْدِ عزيزٍ يُمَزِّق نِياطَ القلب، والبكاء عليه يفجِّر ذلك الحزن المكبُوت.

والعاطفة في الرثاء أصدق وأعمق من كثيرٍ من العواطف البشريَّة، وقد فاضَل المعرِّي بين عاطفة الحزن وبين عاطفة الفرح، فقال:

إِنَّ حُـزْنًـا فِـي سَـاعَـةِ الـحُـزْنِ أَضْـعَـا فُ سُـــرُورٍ فِـــي سَـاعَـةِ الـمِـيـلَادِ

مَرْثِيَّات

في المرحوم - بإذن الله -
حسن بن جابر بن قاسم الظُلمي الفَيْفي
الشاعر المبدع

القصيدة الأولى

اختصم النثر والشعر[١]

سمعتُ الورى[٢] في صرخةٍ: خسفَ البدرُ ... وألَّ[٣] جَنَانُ الكونِ وانسجر[٤] البحرُ

وأبصرتُ أبراجَ السماءِ تفطَّرت ... يَعنُّ بها فطرٌ[٥] يلوذ به فطرُ

وأضحى الضحى في إينِهِ وَهَراً[٦] له ... تناثر مُورُ[٧] الأرض وانفلق الصخرُ

فآذنني الناعي بمنعاة من نعى ... وآذنته بثًا يضيق به الصدرُ

طفقتُ أنادي البُؤس من كل وجهَةٍ ... ألا فارتحلْ عنّي ففي لُبِّك الذُّعرُ

فقد كَرَبَ القلب البئيس من الأسى ... يتيه ويأتي مورد الوَلَهِ[٨] الحِجْرُ[٩]

ويعصف بي حزني وتجمد مقلتي ... جمودَ حزين بائسٍ خانه الدهرُ

وما الدهر جارٌ ذو جُوارٍ وإنما ... سجيَّتهُ مكرٌ وشيمته غدرُ

وما الدهر حامٍ ذو حمى يوم يحتمي ... به محتمٍ أرْدَاهُ في كفه القهرُ

---

(١) الدكتور يحيى بن جابر قاسم الفَيْفي ـ شقيق المرحوم الأصغر منه.

(٢) الورى : الناس

(٣) ألَّ : تألم

(٤) انسجر: انحرق

(٥) الفطر : الشق

(٦) الوَهَر: شدة ارتفاع حرارة الشمس حتى يرى لها في الجو اضطراباً .

(٧) المُور : التراب

(٨) الوَلَه: الجنون .

(٩) الحِجْر : العقل

يـبـيـتُ هـنـيـئـًا تـــارة ثـم يـغـتـدي ... فـيـغـدو وقـد أوْكَـــى[١] فيتبعه المـرُّ
رأيـــت أخـــي إبـــان هـــالَـــه هَـولُـــهُ ... على مـا بـه حـزنٌ ومِـن حـالِهِ هـكـرُ[٢]
وهـــذي هـي الـدنـيـا لـهـا ألـف صـورةٍ ... وفيها اختلاف الحالِ والعسرُ واليسرُ
وذاك قـــضـــاء الله إنَّ قـــضـــاءه ... إذا حُـمَّ لا تعرو "عسى» ثـم لا تعروُ
أتـتـه الـمـنـون الـحـق في ثـوبـهـا الـذي ... أتـت بـه قـومـًا قـبـلُ ليس لـهـمْ حصرُ
فـلا يـفـتـأ[٣] الـقـلـب الـحـزيـن لـفـقـدهِ ... يُـــؤَرِّقُـــهُ مِـن بـعـدِهِ الاســمُ والـذكـرُ
أقـــول لـنـفـسـي في أسـاهـا تـجـلَّـدي ... وأزجـرُهـا عـنه فـلـم يُـجْـدِهَـا الـزَّجـرُ
وذاك هـو الـقـدْر الـذي يـصـل الـذي ... لـفـقـدِ أخـيـه جَـلَّ في نـفـسـه الـقـدْرُ
عهدت إلى الفصحى رثـاءه فارتضت ... وحَـلَّ خـصـام قـاده الـنـثـر والـشـعـرُ
يـقـول لـسـان الـنـثـر إني بـهـذهِ ... لأحـرى وقـال الشعر ما صـدق النثرُ
ومـا كـان قـولـي إذ ثـوى القبر قـد ثوى ... « فليس لعين لـم يفض ماؤها عـذرُ »
ولـكـنَّ قـولـي عـنـه بـالـقـبـر قـد ثـوى ... فـلـيـس لـصـخـرٍ عـن مـدامـعـه صـبـرُ
وذلـــك أمـــر الله والـــقـــدر الـــذي ... قضى وله فيما قضى الحمد والشكرُ
إلـهـيَ مـنـك الـعـفـو عـن كـل مـذنـبٍ ... هبِ القبرَ رِيْضانًا لمن قد حوى القبرُ
ووسـع لـه في الـرِّمْـسِ واغـفـر ذنـوبـه ... فـمـا أعـظـمَ الـــزلاّت إن فـاتـهـا الـغَـفْـرُ
وقَـــدِّرْ لـنـا حُـسـنَ الـخـتـام إذا مضت ... بنا هـذه الدنيا إلـى مـا مضى الكُـثْـرُ[٤]

---

(١) أوكى : بخلَ
(٢) الهَكْر: العَجَب
(٣) لا يفتأ : لا يزال
(٤) الكُثْر: الكثير من الناس .

القصيدة الثانية

العاطفة الصادقة[١]

أخي القارئ:

هذه قصيدة متواضعة رثاء لأخي الفقيد: حسن بن جابر الظُلمي الفَيْفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

صَـــدَقَ الـطـيـرُ إذ غَـــوَى مـــأواهُ ... وشَـكـى مـن شـكـوى الـــورى شَـكـواهُ

فـــإذا الـــرمـــشُ أغـرقـتـــهُ دمـــوعٌ ... لا تـسـلْ يـومـًا مـا الـــذي أبـكـاهُ

مُـقـلـتـي نـهـرٌ والـجـفـونُ ضِـفَـافٌ ... حـولـه والـــرمـــوشُ هـم غَـــرْقَـــاهُ

فـلـمـثـل الـفـراق لـم يـسـكـن الـحُـزْ ... نُ وأبـدى الـقـلـبُ الـحـزيـنُ أَسَـاهُ

ولـمـثـل الـفـراق أجْـهـشَ بـاكٍ ... بـالـبُـكـا ثـم أرْدفَـــت عَـيْـنَـاهُ

ولـمـثـل الـفـراقِ لـم يـسْـطـع الأسْـ ... ـــوَانُ[٢] صـبـراً عـن قـولِـهِ أوَّاهُ

ولـمـثـلِ الـفـراقِ حَـــلَّ عـقـوداً ... أَهْـلُـه في دُنـيَـا الـهـمـومِ فَـتَـاهُـوا

ولـمـثـل الـفـراقِ ضَـاقـتْ عـلـى صَـا ... حِـبِـهِ مـن أشْـجَـــانِـــهِ دُنْـيَـاهُ

ولـمـثـل الـفـراقِ أنَّ[٣] حـزيـنٌ ... فـاقـدٌ طـيـلَـةَ الـحـيـاةِ أخـاهُ

ولـمـثـل الـفـراق ألّـتْ نـفـوسُ الـ ... ـــكُـلِّ حـيـنَ ادِّكـارهـا إيَّـــاهُ

ولـمـثـل الـفـراقِ لا يـرحـلَـنَّ الـ ... ـــهَـمُّ عـن قـومٍ أصْـبـحـوا أَسْـراهُ

---

(١) يحيى بن جابر قاسم الظُلمي الفَيْفي ـ شقيق المرحوم الأصغر منه.

(٢) لم يسطع الأسوان : لم يستطع الحزين

(٣) أنَّ : تألم

شَجوُ الفِراق

ولمثل الفراقِ يشتدُّ كلمٌ[١] ... ويعاني كلمَ الأسَى جَرْحَاهُ

ليتَ شعري هَل من كَلَامٍ سيُجْدي ... في كِلَامٍ[٢] وداءِ قلبٍ ثَوَاهُ

ولمثل المماتِ أظلَمَ يومٌ ... قبلَ أن يبرَحَ الهجيرُ سَمَاهُ

ولمثل المماتِ أُوْلِهَ لُبٌّ ... وفؤادٌ كأسُ الفراقِ سَقَاهُ

ولمثل المماتِ غُصَّتْ حَيَاةٌ ... كَانَ فيها السرورُ تَحْذُو[٣] يَدَاهُ

ولمثل المماتِ خَيَّمَ شَجوٌ ... في جنانٍ فلمْ يَزُل مَا شَجَاهُ

ولمثل المماتِ أُخرِسَ من كا ... نَ بَليغًا سحرُ البيانِ هَوَاهُ

ولمثل المماتِ تبيضَ عين ... وترى الأَعْمى في ازديادٍ عَمَاهُ

ولمثل المماتِ أمسَى حزيناَ ... قلبُ من فارقَ الكرى جَفْنَاهُ

ولمثل المماتِ حَارتْ عقولٌ ... وَأَبَى فَيْئَةً[٤] إليها انْتِبَاهُ

ولمثل المماتِ قلبٌ تَشَكَّى ... هل شَكَى القلبَ غير ما أَشْجَاهُ

ولمثل الفقيدِ تذرفُ عينٌ ... أبصَرَتهُ ولَّى إلى مَثْوَاهُ

ولمثل الفقيدِ يَنْفَطِرُ القَلـ ... ـبُ ببثٍّ وَلِيتَهُ أَجْدَاهُ

ومتى البثّ كانَ مُلتمسا في ... حلِّهِ يَوماً إِذَنْ مَنْ يَأْبَاهُ

فبأي القلوب أمسى غشاها ... وبأي منها ارتضى سكناه

حل قلبي فهل لقلبي فكاك ... من قيود الحزن الذي عاناه

---

(١) كلمٌ : جرح .

(٢) الكلام : الجروح

(٣) تحذو : تعطي وتجود

(٤) فيئة : عودة

شَجوُ الفِراق

حـل قـلـبـي بـعـد الـفـقـيـد ولـيـتـي ... جـئـت مـن أجـنـاس الأسـى أدنـاه

وكـذا مـن يـفـقـد أخـاه يـحـل الـ ... ـقـلـب حـزن جـلاه أم أخـفـاه

ذاكـمـو فـجـع قـد تـقـطـع قـلـبـي ... حـسـرة بـعـده فـوا حـسـرتـاه

ذاكـمـوا خـطـبٌ اذْلـهـمَّ فـضـاقـت ... بـعـده أنـفـاسـيْ فَـوَا أَسَـفَـاهُ

ولـه صُـورةٌ بـذاكـرتـي فِيْ ... كـلِّ حـيـن تَـعُـودُنِي مُـذْ مَـنَـاهُ(١)

ولـه رسـمٌ فِي فـؤادي وَرَسـمٌ ... فِي فـؤادٍ مـا كـانَ مـن يـمـحـاهُ

يـنْـمَـحـي الـذكـرُ والـرُّسُـوم وَرَسْـمٌ ... فِي فـؤادي لا تـنـمَـحـي ذِكْـرَاهُ

وإذا لـم يـحـزنْ ويـأسَ لـفُـقْـدَا ... نِ الـفـقـيـدِ الـشَّـقـيـقُ أَوْ أَبَـوَاهُ

فـمـن الـمـحـزونُ الـذي كـلـمـا عَـ ... ـنَّـتْ لَـهُ ذِكـراهُ بَـكـتْ مُـقْـلَـتَـاهُ

ومـن الـمـحـزونُ الـذي بَـعـدَهُ قـدْ ... ظـلَّ يَـشْـكُـو حُـزْنـًا عـلـى فُـرْقَـاهُ

فَـدَع الـعـذلَ - عَـاذلـي- أرأيـتَ الـ ... ـعـذْلَ لا يَـرْضَـى عـاذلاً يَـرْضَـاهُ

وَيْـكَـأنَّ الـدنـيـا عـلـيـكَ سَـلامٌ ... إنَّ أَقـدارَنـا بـهـا أشْـبَـاهُ

لا تَـلُـمْـنـي إنْ بـتُّ أشْـكُـو شُـجـونـي ... رُبَّ شـاكٍ شـكـوىً تُـدَاوي دَوَاهُ(٢)

لا تـلـمـنـي غَـدَاة أنْـشـأتُ أرثـي ... فَـرِثـائـي حَـقٌّ لـه يُـوفَـاهُ

قَـد رَثَـاهُ الإخـاءُ خـيـرَ رثـاءٍ ... وبـكـاهُ فِي قـلـبِ مَـنْ آخَـاهُ

ورثـاهُ الإحـسـانُ فِي كـل قـلـبٍ ... وبـكـاهُ الـسَّـخَـاءُ فـيـمـن بَـكَـاهُ

ورثـاهُ الـوفـاءُ والـصِّـدْقُ والإخـ ... ـلاصُ والـحـقُّ إذْ نَـعَـى مَـن نَـعَـاهُ

---

(١) مذ مناه : منذ موته .

(٢) الدوي : المرض .

ورثَــاهُ الـصِّـحـابُ واسْـتَـبَـقَـتْ أَفْـ ... ـــئِـدَةٌ في رِثَـــائِـــهِ وَشِـفَـــاهُ
وبـكـتْـهُ فـيـفـاءُ حُـزْنـًا عـليـه ... وَرَثَـتْـهُ الـدُّنـيـا وَكـلٌّ رَثَـاهُ
فَـسَـأجـزِي - تـالله - كُـلَّ خَـلـيـلٍ ... لـهُ بـالـحُـبِّ مـثْـلَـمَـا جَـازَاهُ
وَسَـأُوفـيـهـم الأُخـــوَة مـا لا ... حَ سنى الـبـرقِ أو تـوارى سَـنَـاهُ
فـلـقَـد وَافَـتْـهُ الـمَـنُـون غَـدَاةً ... وَمَـضَـى قَـبْـلَـنَـا إلـى مَـولاهُ
وهْـوَ حُـكْـم الـحَـكِـيـمِ فـيـه وِفـينـا ... لـيـسَ لـلـنَّـفْـسِ غـيـرَ مـا تُـؤْتَـاهُ
كَـم غُـرِرْنـا ولاتَ حـيـنَ غُـرورٍ ... فَـغُـرورُ الـدُّنـيَـا تَـدُورُ رَحَـاهُ
فـاجـعَـل الـقـبـرَ رَوْضَـةً ونَـعـيـمًا ... دَائِـمًـا يـا مَـنْ لا إِلَـهَ سِـوَاهُ
واعـف عـنـهُ يَـا وَاحِـداً هُـوَ في الأر ... ضِ إلـهٌ وفي الـسَّـمـاءِ إلـهُ
وَأَنِـرْ يـا نـورَ الـسـمـواتِ والأر ... ضِ بـنـور الإيـمـانِ قـبـراً حَـوَاهُ
وأعـضْـه عـن دَارِهِ خَـيْـرَ دَارٍ ... واجْـزِهِ رب خـيـرَ مَـا يُـجْـزَاهُ
واهـدنـا الـلّـهـم الـسَّـبـيـلَ وأَلْـحِـقْـ ... ـنـا بمن بعدَ الفضلِ منكَ اهتَدَاهُ
وأَعِـنَّـا عـلـى تُـقَـاكَ إلالـهـيْ ... واهـد مَـن ظَـلَّـتْ عَـن تُـقَـاكَ خُـطَـاهُ
فـالـحـيـاةُ الـدُّنـيـا وَنـىً وَشَـقـاءٌ ... وسُـرُور الـتَّـقـيِّ في تَـقْـوَاهُ
ثُـمَّـة الـحـمـدُ والـثـنـاءُ لـربِّـي ... والـرِّضَـى دَائِـمًـا عـلـى مَـا قَـضَـاهُ
وعـلـى الـصـادقِ الأمـيـنِ سـلامٌ ... فـعـلـيـهِ سَـلِّـمْ وَصَـلِّ اللهُ[1]

❋❋❋

(١) صل الله : صل يا الله ، ياء النداء محذوفة .

القصيدة الثالثة

نداء الرحيل[١]

منذ أيام فارقنا عزيز على قلوبنا هو الأخ حسن بن جابر قاسم الظُلمي الفَيْفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ. وإنا لفراقه لمحزونون ... فأنشأت هذه الأبيات تعبيراً عن خواطري وأحاسيسي تجاه الفقيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

مسحت الدمع إذ ولى العشاءُ ... وقلتُ : الله يفعلُ ما يشاءُ
وقال الناس قد سبقوك هيّا ... أما للصاحب الغالي رثاءُ
فيا عجباً متى يبكي بعيد ... على ميتٍ ويأبى الأقرباءُ
أرى متجلداً لكن نفسي ... بها كُلْمٌ وليس له دواءُ
وأعلم أن عبد الله جَلْدٌ ... ومنه الصبر إن نزلَ البلاءُ
شغافَ القلبِ قد فارقت خلاً ... ستبكيه المحبةُ والإخاءُ
صدوقٌ صادقٌ شهمٌ كريمٌ ... وسمح حين يجفو الأصدقاءُ
فسيح الصدر يُغضي حين يؤذى ... فيبدو من محياه الحياءُ
سخيٌّ لا يملَّ الجود حتى ... إذا أعطى يقال : هو السخاءُ
طموح قلبُه يهوى المعالي ... شريف النفس زينتُه الإباءُ
كتومٌ سرَّهُ عدلٌ حليمٌ ... وفيٌّ أين منه الأوفياءُ
أتى بدراً وولى وهو بدرٌ ... ليالي البيضِ ليس لها بقاءُ
أفي العشرين إذ أضحى شبابًا ... له في حسنِ طلعته بهاءُ

(١) حسن بن معزي حسن الظُلمي الفَيْفي ، بتاريخ ١٧ / ١ / ١٤٢١هـ ـ زميل المرحوم.

شَجوُ الفِراق

مـحـيّـاهُ الـنـقـي أسـال دمـعـي ... إذا مـا لاح لـي ذاك الـنـقـاءُ

فـتـىً كـالـشـمـس إن لاحـت صباحـًا ... إذا يـغـدو كـأنـهـمـا سـواءُ

فـتـىً كـالـسـيـف إن يـسـعـى لـمجدٍ ... لـه في نـيـل بـغـيـتـه مـضـاءُ

سـل الأيـام عـن مـاضـيـه واعـلـم ... فـفـي أخـبـار مـاضـيـه الـصـفـاءُ

غـدَا لله يـسـعـى في ثـبـات ... ونـور الـعـلـم في يـده لـواءُ

فـوافـتـه الـمـنـيّـة دون إذنٍ ... هـي الأقـدار مـا مـنـهـا نـجـاءُ

لـقـد ودعـتـه والـبـيـنُ صـعـبٌ ... ومـن آهـاتـه كـل يـسـاءُ

فـهـل أهـديـه مـن عـيـنـيَّ دمـعـًا ... إذا يـأتـي الـصـبـاح أو الـمـساءُ

وهـل أبـكـيـه مـن دمـع سكـيـبٍ ... لـعـلَّ يـكـون في ذاك الـشـفـاءُ

ولـو أرسـلـت عـبْـراتـي سحابـًا ... لـقـال الـنـاظـرون : هـي الـسـمـاءُ

لـتـروي الـجـدب في خـدي وتَـهـمـي ... عـلـيـه فـلـيـس تـرويـه الـدلاءُ

ومـا لـي إن بـكـيـت عـلـى خـلـيـلٍ ... يـلـوح لـه عـلـى بـصـري سـنـاءُ

فـلا والله مـا أجـزيـه دمـعـًا ... ومـا والله يـحـيـيـه الـبـكـاءُ

ولـكـنـي سـأدعـو الله صـدقـًا ... فـعـنـد الله يـغـنـيـه الـدعـاءُ

فـيـا ربّـي رجـوتـك كـل حين ... ولـيـس بـبـاب غـيـرك لـي رجـاءُ

فـهـب قـبـر الـفـقـيـد لـه ريـاضـًا ... وجـنـات بـهـا ظـلٌّ ومـاءُ

ووسـع قـبـره واجـعـل عـلـيـه ... ضـيـاءً ثـمَّ يـعـقـبـه ضـيـاءُ

ويـا ربّ اجـزه خـيـراً كـثـيـراً ... كـأحـسـن مـا يُـجـازى الأتـقـيـاءُ

وأبـدلـه عـن الـدنـيـا نـعـيـمـًا ... فـفـي الـدنـيـا الـمـلامـة والـشـقـاءُ

وعـنـدك ربِّ لـلأتـقـى مـزيـدٌ ... وعـنـدك - خـالـقي - نـعـم الـثـواءُ
ويـا رحـمـن فـاجـمـعـنـا سـويـًا ... وسـلِّـمـنـا إذا حـان الـقـضـاءُ
وآمـنّـا بـظـلـك ربِّ إنَّـا ... رجـونـا أن يـكـون لـنـا لـقـاءُ
تـآخـيـنـا عـلـى الـتـقـوى وسـرنـا ... فـفـيـك الـحـبَّ ربّـي والـولاءُ
رجـونـا أن نـنـال رضـاك عـنـا ... ويـبـقـى مـن لـدنْـكَ لـنـا اهـتـداءُ
سـنـبـقـى بـعـدهُ يـومـًا نُـعـزى ... ويـوم غـدٍ يُـرى فـيـنـا الـعـزاءُ
ألا يـا طـالـب الـدنـيـا تـنـبـهْ ... فـمـا في لـذة الـدنـيـا هـنـاءُ
أراهـا إذ تـمـنـيـنـا بـعـيـشٍ ... كـأنّ الـعـيـش لـيـس لـه انـتـهـاءُ
وتـنـسـيـنـا عـظـات الـمـوت حتى ... كـأنّ الـمـوت مـن دمـنَـا بـراءُ
تـوافـيـنـا الـمـنـونُ ولـو شـغـلـنـا ... وإن جـاءتْ فـمـا مـنـهـا فـداءُ
وكـم مـن سـادر يـبـنـي لـيـحـيـا ... فـجـاء الـمـوتُ وانـهـدَّ الـبـنـاءُ
فـيـا أهـل الـنُّـهـى هـل مـن مـجـيـبٍ ... عـن الـدنـيـا قـد انـكـشـف الـغـطـاءُ
فـجـدوا لـلـرحـيـل وعـنـد ربـي ... لـمـن يـسـعـى لـطـاعـتـه جـزاءُ
فـأشـكـره عـلـى الإنـعـام دومـًا ... لـه الـتـحـمـيـد مـنـيّ والـثـنـاءُ
وصـلـى الله يـتـبـعـهـا سـلام ... عـلـى الـمـخـتـارِ مـا لاح الـضـيـاءُ
نـبـي جـاء بـالـقـرآن نـوراً ... لـه فـضـلٌ وعـزٌ واعـتـلاءُ
سـتـذكـره عـلـى الأيـام بـدرٌ ... وتـروي مـن تـعـبّـدِه حـراءُ
ومـنـا ذكـره في كـل حـيـنٍ ... يـجـدّده الـتـشـهـدُ والـنـداءُ

القصيدة الرابعة

قافية الحزين[١]

أَبَـــا بَـــدرٍ خـلـيـلـي إنَّ نـفـسـي تَـقَـطَّـعُ حَـسـرةً عـنـد الـفُـراقِ

ليلة وفاة خلِّي ورفيق دربي الأخ الغالي : حسن بن جابر قاسم الظُّلمي الفَيْفي بتُّ أُسائلُ نفسي عن حال هذه الدنيا وما يجري فيها من أحداث عظام تفرق بين الأحبة والأصحاب وتجعل ما بينهم من الصداقة والمحبة ذكرياتٍ غابرة تسيل منها دموع العين وفاء لذلك الخل الوفي . . وفي ذلك نظمت هذه القصيدة التي أسميتها بالاسم الذي اختاره حسن ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ لقصيدته الأخيرة قبل تسميتها بـ (شجو الفراق) .

أَقُـــولُ الـيـوم في الأشـعـارِ نـظـمٌ يَـقُـودُ الـشِّـعـرَ تَـتْـبَـعُـهُ الـفُـنـونُ
إذ الأشـعـارُ قـالـتْ مـا بـنـفـسي وأَبـــدتْ مـا بـداخـلـهـا لُـحـونُ
هـلِ الأقـــدارُ إلا أمـــرُ ربٍّ قَـضـاهـا كُـنْ فَـذَا أَمـــرٌ يَـكُـونُ
قـضـاءُ اللهِ في الأقـــدارِ جـارٍ فَـلا عَـتْـبٌ إذا جـاءَ الـمَـنُـونُ
هـيَ الأيـــامُ تـمـضـي في اتِّـبـاعٍ تُـفَـرِّقُ كـلَّ صَـحـبٍ أو قَـــرونُ[٢]
أَقُـــولُ لـكـلِّ أصـحـابـي لَـعَـمـري فـــراق الـخِـلِّ صـعـبٌ لا يـهـونُ
يُـفـارقـنـا الـحـبـيـب ونـحـن جـمـعـا فـلِـلأحـبـابِ تَـنـهـمـرُ الـعـيـونُ
عـيـونٌ قـد جـرى مـنـهـا وفـاءً بِـحُـبِّ الـخـل دمـعٌ لا يَـخُـونُ

---

(١) عبدالله بن يحيى جابر السلماني الفَيْفي ـ زميل المرحوم .
(٢) القرون : اجتماع القادمين والآخرين من الناقة .

شَجوُ الفِراق

بَـنـى نـظـمـاً تـُـحَـرِّكُـهُ بِـشَـجْـوٍ ... تَـــرَانـيـمٌ وقـافـيـةٌ ونـونُ

فـقـالَ الـبـعـدَ صـعـبٌ كـيـف أنّـي ... أُفَـارقـكُـمْ وكـيـفَ بـه يَـهـونُ

فـنـحـن الآن بـعـد أنِ افـتـرقـنـا ... ولَـفَّ الـلـيـلَ كـونٌ بـلْ سُـكـونُ

نـرى الأمـر الـذي قـد كـنـتَ تَشكو ... فـلا حُـزنٌ يُـفـيـدُ ولا شُـجـونُ

وهَـا هُـوَ أَمـرُ مـالـكِ يـومِ دِيـنٍ ... فـمـا شـكٌ يـُـخَـالُ ولا ظُـنـونُ

لـقـد كُـنَّـا قُـبَـيْـلَ الأمـس جـمـعٌ ... وأمَّـا الـيـومَ لـحـدٌ لا سُـجـونُ

تُـفَـاجِـئُـنـا خـطـوبٌ دونَ إذنٍ ... كـمـا هـي هـذه الـدنـيـا زَبـونُ[1]

أُسـائِـلُ لـوعَـتـي عـن بـدرِ شـهـرٍ ... مـضـى فـيـنـا يـقـول لـنـا الـشـجـونُ

لـقـد أَلَّـفْـتَ كـل قـلـوبِ صحبي ... عـلـى وُدٍّ فـلـلـدُّنـيـا شُـؤونُ

رثـيـت الـصـحـبَ في شـجـوِ الـفُـراقِ ... فـهـل ذاكَ الـرِّثـاءُ لـنـا يَـكـونُ

شـربـتَ الـكـأسَ مـن مـرٍّ وَإنّـا ... سـنـلـحـقُ بـالـرِّكـابِ ولـيـسَ بَـونُ[2]

فَـيَـا أَحـبـابُ هـلْ لـكُـمُ رجـاءٌ ... إلـى الـبـاري تـــرَدِّدُهُ الـسُـنُـونُ

فـلـلـمـولـى نُـنَـاشـدهُ دُعـاءً ... عـسـى الـمـولـى يُـجـازيـهِ الـرَّقُـونُ[3]

ويـمـحـو كـلَّ ذنـبٍ إنَّ ربـي ... لـكـل الـذَّنـبِ غَـفَّـارٌ مَـمـنُـونُ

فَـيَـا لَـلأمـرِ إنَّ الـمـوتَ حَـقٌّ ... ويـا لَـلـهـول أنْ صِـرنَـا شُـطُـونُ

نـقـولُ بـكـلِّ جـارحـةٍ وطَـرفٍ ... هـلِ الأقـدارُ قـطْ كـافٌ ونُـونُ

---

(١) زبون : تنفع الناس وتصدمهم .

(٢) البون: المسافة الطويلة .

(٣) الرقون: الزعفران .

القصيدة الخامسة

فراقُ الخِل[١]

فراق الأحباب ليس حدثًا عابراً ينتهي بانتهاء الحبيب ، بل هو وقفة للنفس مع نفسها ، وقفة تستثير العواطف وتحرك الأشجان ، لتدرك بذلك حال هذه الدنيا وحكمة الخالق عَزَّوَجَلَّ فيما يصرف فيها من أقدار ، ومن ذلك ما حدث لي من مصاب عظيم في وفاة خليلي الغالي حسن بن جابر قاسم الظُلمي الفَيْفي – رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه – وفي ذلك نظمت هذه الأبيات .

أَسْلَمْتُ نفسي واسْتكنتُ مَكانيا ... وفُراقُ خِلِّي قد أَثارَ بُكائيا
عَمري لَعَمري إنَّ هَجْرَكَ جمرةٌ ... في الجوفِ تكوي تستزيد عذابيا
وَدَّعتَ كلَّ صِحَابِ عُمرِكَ فَجأةً ... إذ ما يزالُ الوقتُ وقتَ شبابيا
هيَ غَمضةٌ للطَّرفِ تُحْدِثُ فُرقةً ... واستاقتِ الأحداثُ بعدَ توالِيا
قَلَّبتُ طرفيَ في شُجُوني لَوعةً ... أُشْرِبتَ كأسَ المُرِّ قَبلَ وَدَاعيا
صُغتَ القَوافي في فُراقِ أَحبَّةٍ ... تُجري الدُّموعَ السَّابغاتِ لياليا
قد كُنتَ للأحبابِ أفضلَ صَحبِهِمْ ... تُدني القُلوبَ إلى المودَّةِ راضيا
لا أَنتَسي ذكرى الصَّداقةِ أينما ... وَقَفَتْ بيَ الأيامُ دونَ حراكيا
لا أَنتَسي خِلاً وفيًا كيفما ... لَعِبَتْ بيَ الأقدارُ أو بِمُراديا
طالتْ بيَ الأحزانُ ما لِصَنيعِها ... قد نالَ منِّي واستزاد شقائيا

---

(١) عبدالله بن يحيى جابر السلماني الفَيْفي ـ زميل المرحوم .

شَجوُ الفِراق

أدعـــو الإلـــهَ بـكـلِّ وقـــتٍ ساعـةً ... واللهِ أرجـــو أن يـُـجِـيـبَ دُعـائـيـا

يـا ربِّـــيَ ارحـــمْ كـلَّ عـبـدٍ مـُخلصٍ ... وأَنِـــرْ بـنـورك حـيـثُ أَمـسـى ثـاويـا

وتـــجـــاوزِ الـهـفـواتِ أَنَّـــى لـلـورى ... مِـــنْ مَـلـجَـئٍ إلاَّ إلـيـكَ لـُجُـوئـيـا

الـمـوتُ يـأخُـذُ كـلَّ حـالٍ مَـسَـرَّةٍ ... لا أَمْـــنَ أرجـــو حـيـنَ يَـطـرُقُ بابيا

فـالـمـوتُ يـأتـي بـغـتـةً أيـــنَ الـرِّضـى ... والـمـــوتُ آتٍ لا مَـفَـرَّ أرى ليا

عـاتـبـتُ نـفـسـي أنْ سَـلـكـتُ سبيلها ... هـل يـسـتـطـيـعُ الـدهـرُ قـهـرَ عِـتـابـيـا

آه لـنـفـسٍ غـصـةٍ قـد أُسـقـيـتْ ... كـأسَ الـمـرارِ فـهـل عَـلـمْـتُـم مابيا

إنْ أَشـتـكـي بُـعـدَ الـخـلـيـلِ فـإنَّـمـا ... الله أرجـــو رحـــمـــةً لـــخَـلـيـلـيـا

إنْ قـلـتُ شِـعـراً إنـمـا هـيَ لـوعـةٌ ... في الـقـلـبِ تُـضـرِمُ نـارَ حُـزنٍ كـاويـا

فـالـقـولُ بـــاقٍ والـنُّـفـوسُ لـربِّـهـا ... وهـنـا الـمـقـولُ ولـلـرَّحِـيـمِ حَـيـاتـيـا

إنِّـــي بـقـولـي لا أريـــدُ مُـكـافـئـًا ... بـلْ أرتـجـي رضـــوانَ ربِّـــي جـزائـيـا

إنِّـي ذَكَـــرتُ الـصِّـدقَ حـالَ صَداقتي ... فَـلِـذِكـرِ ذاكَ تـسـاكَـبَـتْ عَـبَـراتـيـا

فـنـظـمـتُ في تـــاجِ الـبُـحـورِ قـصـيـدةً ... هـيَ دُرَّةٌ تـَحـكـي شُـجُـونَ وَفَـائـيـا

❊❊❊

القصيدة السادسة

حكاية الأيام[١]

نظمت هذه القصيدة إثر وفاة أخي حسن بن جابر قاسم الظُلمي الفَيْفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ٦ / ١ / ١٤٢١هـ وذلك تعبيراً عن خواطري ومشاعري تجاه فقيدنا الغالي .

صحبتُ زمانًا بالمَسَرَّةِ قد جَرى ... فهَلْ يَدْرِ خلي بعدَ ذلكَ ما جَرَى

جَرتْ لِفُراقِ الخلِّ آخرُ دَمعةٍ ... لأنَّ دمًّا بعدَ الدُّموعِ تَحَدَّرا

فما دَمعُ حُزني قد أفادَ رُجوعَهُ ... ومَا قَدَّم الشعرُ الحزينُ وأَخَّرَا

تُذَكِّرُنا الأيامُ تحكي روايةً ... تُسِيلُ دُمُوعًا كالسَّحابةِ مُمطِرَا

نظرتُ إلى الأكوانِ في ظُلَمِ الدُّجَى ... فلم أرَ نَجمًا في المجَرَّةِ نَيِّرا

فأيقنتُ أنَّ الخِلَّ قد هَجَرَ الورى ... وفَارَقَ صَحبًا دونَ علم فَما دَرَى

وصاحَ فُؤَادِي كيفَ أنسَى سنينَهُ ... فخِلتُ فُؤَاديْ في السَّماء تَناثَرا

فَهَلْ آنَ أنْ أرمي الزَّمانَ بصرخةٍ ... ألا فَأتِنِي خِلِّي وعُدْ لِيَ زائِرَا

فذِكراكَ خِلِّي في فؤاديَ لَوعةٌ ... تَصيحُ بِأَعلى الصَّوتِ تَبكي تَحسُّرَا

رَأَيْتُكَ في أَسمى الأُمورِ مُسَابِقًا ... وما خلتُ أنِّي قدْ أُواريكَ في الثَّرى

أُنَادي ومَنْ في الكونِ يَسمعُ صرختي ... إذِ الكونُ لم يُخفِ النُّجُومَ تَأثُّرا

أُفَتِّشُ عن خِلِّي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِ ... يَكُونُ وَفيًا حينَ أَغدُو مُدَثَّرا

فيا ليتَ خِلاً أستطيعُ رجوعَهُ ... ولو بجميعِ الأرضِ أفدي وأبْحُرَا

---

(١) عبدالله بن يحيى جابر السلماني الفَيْفي ـ زميل المرحوم .

ولـو أنَّ دفـعَ الـعمـرِ يكفي لصاحبي ... لَـقُـمـتُ بـذاك الـفـعـلِ لَـنْ أَتَـكَـبَـرَا
فـإنَّ حـيـاتِـي بـعـد خـلـي قـصـيـرةٌ ... وكـيـفَ أَرى أَنِّـي سَـأَبـقَـى مُـعَـمَّـرَا
ومـا الـعـمـرُ في الـدنـيـا أراهُ كـبُـرهَـةٍ ... يَـمُـرُّ بـهـا الإنـسـانُ هَـلاَّ تَـفَـكَّـرَا
لـقـد كـانـتِ الأفـراحُ تُـبْـهِـجُ مُقلَتي ... فـصـارتْ لنا ذِكـرَى إذِ الصُّبْحُ أَسْفَرَا
تَـغـنَّـى خـلـيـلُ الـصَّـحـبِ يَـرثـي أحـبَّـةً ... سَـأَرثـيـكَ يـا خـلِّـي رثـاءً مُـعَـبِّـرا
بَـكَـتْـكَ جـمُـوعُ الـنَّـاسِ من كُـلِّ وجهَةٍ ... ففاضتْ دُمـوعُ الكونِ تَبكي لِـمَا تَرَى
تـركـتَ لـنـا الـدُّنـيـا تَـزيـدُ هـمـومَـنَـا ... وتُـضـرِمُ حُـزنـًا في الـقَـرارةِ قَـاهِـرا
وَهـل فـاتـنـي أمـرُ الـزَّمـان إذِ اغـتـدى ... يُصيبُ فُـؤَادِيْ ما لِـدَهـريَ قَـد اجتَرى
فـلا يُـدرِكُ الأحـيـاءُ مَـن ضـمَّـهُ الثَّـرى ... وهَـلْ فَـازَ إلاَّ مَـن أعَـدَّ وشَـمَّـرا
فـمـا قـلـتُ شـعـراً في زمـانيَ مـرَّةً ... ومـا كـان لـيْ نَـظْـمٌ يُـبَـاعُ ويُشتَري
ومـا يـكُ مـن شـعـر نـظـمـتُ فـإنَّـمـا ... بـبَـحـرِ الـطَّـويـلِ قُـلـتُ شِـعـراً مُـيَـسَّـرا

❊❊❊

القصيدة السابعة

دموع الصدق[١]

عندما فارقت خلي وأنيسي تحركت الأشجان بداخلي مهيجة أحزاني ، فجادت قريحتي بهذه الأبيات.

أَلا يـا حسـرتي أيـن الـمُجيبُ ... عـلى نفسي ففي رأسـي مَشيبُ
وكـيـف الـصـدقُ في خـبـرٍ تعيسٍ ... دُمُـوعـي لا تُـطـيـقُ لـه صَبيبُ
لـمـوتـك قُـلـتُ شـعـراً ذا شجونٍ ... لَـعَـمـري قـد نـظـمـتُ فـلا أُصيبُ
دُفِـنْـتَ بـدون أن تُـعطى أَنيسًا ... فـلا مـالٌ ولا خـلٌّ قـريبُ
وسـالـتْ أدمُـعـي كَـدَمٍ غـزيرٍ ... لـهـا في الـقـلـب آثـارٌ تُـصيبُ
فـصـبـري لا يُـطـيـقُ لـه وَداعـًا ... ولا أجـدُ الـبُـكَـا شيئـًا يَعيبُ
أَيَـرحَـلُ صاحبي وأنـا شهيدٌ ... يُـفـارقـنـي ويـتـركـنـي غَـريبُ
لَـعَـمـري إنَّـه كـرْبٌ عظيمٌ ... وكـيـف بـه غـداً عـيـشٌ يطيبُ
لـقـد أصبـحـت بـعـدكُـمُ وَحـيـداً ... كـطـفـلٍ لـيس يـمـلـكُ مـن يُجيبُ
وأمـسـى الـصَّـحـبُ يـذكُـرُ كُـلَّ حالٍ ... قـضـاهُ الأمـسَ زيـنـتُـهُ الأديـبُ
فـيـا أسَـفـي عـلـى خِـلٍّ عظيمٍ ... لـنـا الـمـولـى يـكـون لـنـا حسيبُ
رحـلـتَ مُـتَـاركـًا عَـزمـًا قـويًّـا ... لـمـجـدٍ نـادرٍ مـجـدٌ نـقـيبُ
تـركـتَ الـصَّـحـبَ دون حـراكِ طَـرْفٍ ... فـأيـنَ الـفـكـرُ إذ مـوتٌ قـريبُ

---

(١) عبدالله بن شريف مفرح المدري الفَيْفي ـ زميل المرحوم .

شَجوُ الفِراق

أبـــا بـــدرٍ لِـيـرحـمْـكَ الـرحـيـمُ ... ويُـسْـكِـنَـكَ الـجِـنَـانَ بـهـا تَـطـيـبُ

فَـبَـعـدَكَ لـمْ يَـعُـدْ عَـيْـشـي هَـنـيـئـًا ... وهـــذا الـحـالُ إذْ فُـقِـدَ الـحـبـيـبُ

تـــقـــولُ غـــداً لـنـا عُـمـرٌ طـويـلٌ ... وعـــمـــرٌ زاهـــرٌ نـضـرٌ خَـصـيـبُ

فَـبُـعـدُكَ عـن صِـحَـابِـكَ بُـعـدُ قَـلـبٍ ... عـن الأجـســادِ بـل بُـعـدٌ رهـيـبُ

وذِكـــرُ الـخِـلِّ يـشـعِـلُ مـا بقلبي ... مـن الأحـــزانِ يُـضـرمُـهـا الـلـهـيـبُ

لـعـل الله يـغـفـرُ كُـــلَّ ذنـــبٍ ... ويـجـعـلُ قـبـرك الـثَّـاوي رحـيـبُ

مُـقـابـلـةٌ مُـفـارقـةٌ بِـلَـمْـحٍ ... حـيـاةٌ ثـم مـــوتٌ لا يَـريـبُ

فـقـلـتُ الـشِّـعـرَ أَنـظُـمُـهُ لُـحـونـًا ... وقـافـيـةٌ بـهـا بـــاءٌ كـئـيـبُ

❊❊❊

القصيدة الثامنة

ألمُ الوداع[١]

كتبتُ القوافي بالليالي تُباكيني ... فصارت على مَرِّ الزمان تُواسيني
لقيتُ هموماً لم تفدني لأنْ أرى ... خليلي على الدنيا يعودُ يوافيني
رأيتُ نُجُوماً بالسماءِ تُنيرُها ... وصارتْ بِخَوفٍ في الظَّلامِ تُنَاديني
فقالت بُكاءٌ في الظَّلامِ أفَاقَنَا ... فقلتُ بُكائي لم يَشأ أن يُغَافيني
فقالت أَخطبٌ بالنَّهارِ نَخافُهُ ... فقلتُ أبا بدرٍ بموتٍ يُواعيني
فضاعتْ بُكاءً قبلَ صُبحٍ يُضيعُها ... فأصبحتُ في ليلٍ لجونٍ يُواريني
سهرتُ الليالي لا أُلاقي مُؤَانساً ... وكيف ألاقي بعد خِلِّي مُواسيني
سوى صاحبي لا أرتجي من مُؤَانسٍ ... ومَن بعدهُ أُنساً وَوُدًّا يُؤاخيني
ظننتُ بأنِّي لن أرَى غيرَ واقعٍ ... جميلٍ فصارَ الظنُّ حلماً يُماسيني
سئمتُ نُواحاً لا يفيدُ لِنائحٍ ... ولا أجدُ الخلَّ الخليلَ يُلاقيني
فلم ألقهُ يوماً يجافي أخاً له ... ولم ألقَهُ يوماً بِكُرهٍ يُجَافيني
خسرنا من الدنيا كريمَ مناقبٍ ... فلم يبقَ عندي غيرُ ذِكرٍ يداويني
دعوت إلهاً بالمكانة قد سَمَا ... إذا صرتُ في قيدِ اللُّحودِ تُقَاسيني
عرفتُ حياتي بَعدهُ لن تطولَ بي ... وقد قالَ حالُ الحزنِ كم سَتُعَانيني
فقلتُ إلى وقتٍ قريبٍ يريدُني ... به حكمُ رحمنٍ رحيمٍ يُجَازيني

---

(١) عبدالله بن شريف مفرح المدري الفَيْفي ـ زميل المرحوم .

شَجوُ الفِراق

نـهـارُ ثـلاثـاءٍ قـضـى فِي حـيـاتـنـا ... هُـمـومـًا فقلتُ الـيـومَ نفسي تُعاديني

تـعـادي بِـكُـرهٍ يـوم شُـؤمٍ شـهـدتُـهُ ... فثارتْ شُجُونُ القلبِ فاضتْ بها عيني

صـرخـتُ عسى ألـقى مُجيبًا معاونًا ... فـلـم يُـلـفِـنـي خـلٌّ يـعـيـدُ مَـوَازيـنـي

لَـعَـمـري لـقـد صـرتُ الـوحـيـدَ إذا بـهِ ... خليلي تَـوَارى بـالـثَّـرَى لا يُحَاكيني

فـمـا عـادَ لـي شِـعـرٌ يُـصـاغُ بـلـحـنِهِ ... بـبـحـرٍ طـويـلٍ بـالـقـوافي يُـقـاويـنـي

❊❊❊

القصيدة التاسعة

دمعة مودع[١]

فجعنا صباح الثلاثاء الموافق ٦/ ١/ ١٤٢١هـ بنبأ وفاة صديقنا وزميلنا الأخ حسن بن جابر قاسم الفَيْفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك الحادث المروع وقد تأثر لموته الجميع وسادت عليهم مشاعر الحزن وفي خضم تلك المشاعر وجدتني أتمتم بهذه الأبيات .

من للمنية إن رمت بسهامها ... وسهامها ترمي بكل أوان
الله أكبر فالمنية لم تذر ... في كوننا من كائن إنسان
بل كل شيء هالك إلا الذي ... يحيي يميت - الرب ذو الغفران
إنا فجعنا في الصباح بحادث ... في هوله يُرمى إلى الآذان
ولقد تعاظم بل تفاقم وقعه ... في النفس حين إذاعة الإخوان
مات الذي قد كان نوراً في الدجى ... أمر عظيم وقعه ذو شان
ذاك الذي هُزَّ الكيان لموته ... وتفاقمت من بعده أحزاني
ذاك ابن جابرَ فالنفوس كليلة ... وترى دموع الناس في جريان
ذاك ابن جابر والعيون كأنها ... جمر توقد من لظى الأشجان
ذاك ابن جابر والجميع يحبه ... يا عبرة تبقى مدى الأزمان
ذاك ابن جابر من يساويه ومن ... سيكون مثل شجاع ذا الشبان

---

(١) حسن بن يحيى حسين الظلمي الفَيْفي ـ ثانوية فَيْفاء .

شَجوُ الفِراق

ذاك ابـن جـابـر يـا مـنـون أخـذتـه ... تـسـتـأثـريـه ولـم يـكـن بـجـبـان

قـد كـان بـحـراً لا يـضـيـق بـسـاحـل ... وحـديـقـة غـنـاء تـا أفـنـان[1]

إن قـال شـعـراً قـلـت هـذا الـبـحـتـري ... وزهـيـر أو حـسـان والـحـمـداني

زيـد الـخـيـول[2] إذا رمـى فـكـأنـمـا ... تُـرمـى الـصـواعـق مـن فـتـى الـفـتـيـان

قـد كـان عـنـتـرة الـفـوارس شـدة ... وصـلابـة مـن أفـضـل الـشـبـان

قـد كـان بـحـراً في لـغـات عـدونـا ... وكـأنـمـا هُـوَ مـنـهـمُ بـلـسـان

ذاك ابـن مـقـلـة في فـنـون كـتـابـة ... خـط جـمـيـل صـائـغ الـسـريـان

قـد كـان يـخـطـو لـلـعـلا في هـمـة ... بـالـجـد في الأعـمـال بـالإيـمـان

زامـلـتـه تـسـعـاً سـنـيـنـا كـان لي ... نـعـم الـصـديـق وصـاحـب مـعـوان

والـكـل يـشـهـد مـا حـوى مـقـدامـنـا ... مـن حـسـن أخـلاق ومـن إحـسـان

لـم يـبـلـغ الـعـشـريـن عـامـاً عـمـره ... حـتـى انـقـضـت أيـامـه بـأمـان

يـا مـعـهـداً فـلـتَـبـكـه ولـيَـبـكـه ... كـل الـصـحـاب وكـل ذي الـعـرفـان

صـدق الأخـوة والـمـحـبـة قـد بـدى ... مـن صـحـبِـهِ الـكـرمـاء والإخـوان

فـاضـت عـلـيـه مـن الـصـحـابِ مـدامـعٌ ... تـبـدو مـن الأكـبـاد والأجـفـان

(شـجـو الـفـراق) لـه بـالـنـفـس مـوقـعـه ... وازداد تـأثـيـر بـذي الأحـزان

يـا أيـهـا الـصـحـب الـكـرام تـصـبـروا ... جـوزيـتـم الـخـيـرات مـن رحـمـن

أدعـوا لـه بـالـخـيـر يـغـفـر ذنـبـه ... ويـجـازه بـالـخـيـر والـغـفـران

---

(١) تا أفنان : ذات أفنان

(٢) زيد الخيول ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يـا ربـنـا الـرحـمـن أنـت ولـينـا أنـت الـقـديـر وأنـت ذو الإمـكـان
يـا رب فـاجـمـعـنـا بـجـنـتـك الـتـي نـصـبـوا إلـيـهـا جـنـة الـحـيـوان
واجـعـل أبـا بـدرٍ يـعـيـش بـغـبـطـة في عـالـي الـفـردوس في رضـوان

❊❊❊

الخاتمة

نسألُ الله تعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا ويزيدنا علمـًا، وأن يختم بالصالحات أعمالنا، وأن يوفقنا لكل خيرٍ .

جاء هذا الكتاب مشاركة مني بالتعاون مع من قدمتُ لهم الشكر والعرفان في بدايته، لحفظ ونشر بعض تراث شاعرنا المبدع وفقيدنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي لو أمد الله في عمره لكان له شأنـًا عظيمـًا في الشعر لا يجاريه أحد، ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر.

وفي مواهبه المتعددة من عشقه للغة الانجليزية وتعلمها وإتقانها من نعومة أظفاره، والرماية، والعدو . . ولكن قضاء الله قبل كل شيء والإيمان به واجب .

رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له وجعله من ورثة جنة النعيم . . وجمعنا به في مستقر رحمته

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

تم بفضل الله الانتهاء منه

يوم الثلاثاء الموافق ٩/٩/ ١٤٤٠ هـ

أخوكم / عيسى بن سليمان الفيفي

الفهرس

- تقديم ٥
- شكر وعرفان ٨
- إهداء ٩
- انطلاقة ١٠
- نبذة عن الشاعر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١١
  - » ميلاده ١١
  - » نشأته ١١
  - » نشأته التعليمية ١٢
  - » وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ ١٣
  - » (صورة للمبنى القديم لمدرسة ذراع منفة الابتدائية الذي درس فيه المرحوم قبل انتقال المدرسة لمقرها الجديد) ١٤
  - » (صورة لمبنى المعهد العلمي في فيفاء) ١٤
- أساتذته الذين تتلمذ على أيديهم ١٥
  - » المرحلتان المتوسطة والثانوية (المعهد العلمي في فيفاء) ١٥
  - » زملاؤه في مراحلتي المتوسطة والثانوية ١٦
- ما يقوله اليوم عنه أقرباؤه وأصدقاؤه ١٩
  - » (المؤلف) ١٩
  - » الأستاذ: أحمد بن يحيى بن فرحان الفيفي ١٩
  - » الأستاذ: مصلح بن أسعد بن جبران الفيفي ٢٠

» الأستاذ: عيسى بن يحيى بن حسين الفيفي ٢٠
» الأستاذ: حسين بن أحمد بن حسن الفيفي ٢٠
» الأستاذ: حسين بن يحيى بن حسين الفيفي ٢١
■ من حياته ٢٢
■ من موته ٢٣
■ أحد زملائه وأقربائه ٢٤
■ الشاعر جابر بن حسين بن سليمان الفيفي (أبو بكر) ٢٧
■ النقيب الدكتور بندر بن محمد بن هادي الفيفي ٢٧
■ الأستاذ عبدالرزاق بن موسى حسين الفيفي ٢٩
■ الأستاذ موسى بن فرحان سلمان الفيفي ٣٠
■ النموذج الأول من خطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البسملة بخط الرقعة ٣٢
■ النموذج الثاني من خطه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البسملة بالخط الديواني ٣٢
■ قصيدتين من خط يده رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ٣٣
» القصيدة الأولى « رثاء في شَعَرِه » كتبها بخط يده رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣٣
» القصيدة الثانية « كوتني شجوني » كتبها بخط يده رَحِمَهُ ٱللَّهُ ٣٤
■ موقف رأيته ٣٥
■ حديث ذو شجون من صديقه ومعلمه ٣٦
■ ما يقوله عنه اليوم معلموه وأساتذته ٤٢
» الشيخ عبدالله بن حسن بن أحمد الفَيْفي ٤٢
» الأستاذ سليمان بن علي بن قاسم الفيفي ٤٢

» الشيخ يحيى بن حسن يحيى الفيفي ٤٣
» الأستاذ جابر بن سلمان قاسم الفيفي ٤٤
■ هذه بعض القصائد للشاعر الأديب : حسن بن جابر بن قاسم الظلمي الفيفي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغفر له - ٤٥
» القصيدة الأولى : درة من بحور الحسن ٤٦
» القصيدة الثانية : أمسى الحبُ ذكرى ٤٨
» القصيدة الثالثة : تاه الفؤاد ٥٠
» القصيدة الرابعة : كوتني شجوني ٥٢
» القصيدة الخامسة : رثاء ٥٣
» القصيدة السادسة : شجو الفراق ٥٤
■ لماذا شجو الفُراق؟ ٥٦
■ متى كُتِبت هذه القصائد؟ ٥٨
■ مَرْثِيَّات في المرحوم - بإذن الله -حسن بن جابر بن قاسم الظُلمي الفَيْفي الشاعر المبدع ٥٩
» القصيدة الأولى : اختصم النثر والشعر ٦٠
» القصيدة الثانية : العاطفة الصادقة ٦٢
» القصيدة الثالثة : نداء الرحيل ٦٦
» القصيدة الرابعة : قافية الحزين ٦٩
» القصيدة الخامسة : فراقُ الخِل ٧١
» القصيدة السادسة : حكاية الأيام ٧٣
» القصيدة السابعة : دموع الصدق ٧٥
» القصيدة الثامنة : ألمُ الوداع ٧٧

» القصيدة التاسعة : دمعة مودع ٧٩
■ الخاتمة ٨٢
■ الفهرس ٨٣

❊❊❊